Journal of the Faculty of Arts (JFA)

Volume 82 | Issue 1 Article 18

1-1-2022

# Ethnic identity and the problem of recognition A study on a sample of generations of Nubian immigrants in Suez Governorate

Gabralah Abbas Hassan Salman
*Suez University - Faculty of Arts - Department of Sociology*, gabralah.abbas@arts.suezuni.edu.eg

Follow this and additional works at: https://jfa.cu.edu.eg/journal

Part of the Sociology Commons

## Recommended Citation

Salman, Gabralah Abbas Hassan (2022) "Ethnic identity and the problem of recognition A study on a sample of generations of Nubian immigrants in Suez Governorate," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 82: Iss. 1, Article 18.
DOI: 10.21608/jarts.2022.99870.1180
Available at: https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol82/iss1/18

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

# الهوية الإثنية ومشكلة الاعتراف

## "دراسة على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس"(*)


**د/ جبر الله عباس حسن سلمان**
**مدرس علم الأنثروبولوجيا**
**بقسم علم الاجتماع – كلية الآداب**
**جامعة السويس**

**د/ محمود صلاح عبدالحفيظ محمد المهر**
**مدرس علم الاجتماع السياسي**
**بقسم علم الاجتماع – كلية الآداب**
**جامعة السويس**



**المستخلص :**

تهدف الدراسة الراهنة إلى الكشف عن صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين في محافظة السويس. وقد اعتمدت الدراسة على الأسلوب الوصفي، والتاريخي، والمقارن، باستخدام عدة طرق (المقابلات الفردية، وجماعات المناقشة البؤرية، والملاحظة)، حيث أُجريت الدراسة على عينة عمديه شملت ثلاثة وعشرون حالة يمثلون ثلاثة أجيال. وقد تم جمع البيانات الميدانية باستخدام دليل المقابلة المتعمقة مع الحالات الفردية، وجماعات المناقشة البؤرية، ودليل الملاحظة. وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج من أهمها:

حرص النوبيون الأوائل الذين نزحوا إلى السويس على أن تكون لهم روابط تنظيمية تحفظ هويتهم. وأن اللغة النوبية ومستقبلها لدى نوبيي السويس ليس بخير. كما كشفت الدراسة الميدانية عن أن ثمة صراعًا يجري من أجل نيل الاعتراف بالهوية لدي الجماعة النوبية بالسويس، ويتخذ ذلك الصراع عدة مسارات. وأن عملية الصراع التي انخرط فيها نوبيي السويس مع المجتمع المحلي لم تتم بين النوبيين كأفراد من جهة والمجتمع المحلي من جهة أخرى.



**الكلمات المفتاحية:** الهوية الإثنية – الجيل – الصراع – الاعتراف .


---


(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٢) العدد (١) يناير ٢٠٢٢.**

# Ethnic Identity and the Problem of Recognition: A Study on a Sample of Generations of Nubian Immigrants in Suez Governorate


## Abstract:

The current study aims to reveal the images and patterns of the struggle for the recognition of the Nubian identity among the generations of Nubian immigrants in Suez Governorate. The study relies on the descriptive, historical, and comparative approaches, using several tools: individual interviews, focus groups, and observation. The study was conducted on a deliberate sample of twenty-three cases representing three generations. Field data were collected using an in-depth interview guide with individual cases, focus groups, and an observational guide. The study reveals a set of results, the most important of which are: the first Nubians who fled to Suez were keen on having organizational ties that preserve their identity and the Nubian language and its future among the Nubians of Suez is not in good state. The field study also reveals that there is an ongoing struggle, which takes several paths, in order to gain recognition of the identity of the Nubian community in Suez, and, finally, the conflict in which the Nubians of Suez became involved with the local community did not take place between the Nubians as individuals on the one hand and the local community on the other.


**Keywords**: ethnic identity - generation - conflict – recognition

## مقدمة:

«ونحن نشعر أن الخير الذي سيعم على أبناء النوبة سيكون الخير الكثير؛ لأنه سيجمع شمل أبناء النوبة جميعًا على أساس من الأسس الصحيحة لبناء مجتمع قوى سليم؛ وبهذا تنتفي الشكوى التي كنتم تشعرون بها طوال السنين الماضية. شكوى الانعزال، ثم شكوى تفرقة العائلة الواحدة. أفرادها يعملون في الشمال وبعضها يعملون في الجنوب. إننا نعتقد أن عملية التهجير من هذا المكان ستكون عملية مركزة منظمة مريحة لكم جميعًا، لتنتقلوا من هذه القرى التي عشتم فيها إلى مناطق جديدة تشعرون فيها بالسعادة، والحرية، الرخاء».(*)

عملت تلك الوعود الرئاسية –آنذاك– على التخفيف من وطأة المخاوف الجمعية التي سيطرت على أهالي النوبة، وملأتهم بالخوف من المجهول، إلا أن كلمة الرئيس عبدالناصر أشعرتهم بجدية اهتمام الدولة بهم، وأنه من غير الممكن أن يتم تهجيرهم إلى مكان أقل مكانة أو تشابهًا مع مجتمعهم وحياتهم المعتادة في النوبة القديمة. ومثلت تلك الوعود الحكومية سلسلة من البرامج والقرارات التي اتخذتها الحكومة؛ لتيسير موافقة أهالي النوبة على عملية التهجير، بدون اعتراض، وبما قد يعرقل خطة الدولة في بناء مشروع السد العالي، والذي ارتبط في أذهان المخططين له بإزالة مجتمع النوبة القديم بالكامل، من دون السماح بمشاركة أهالي النوبة في اتخاذ قرار التهجير، أو الخطط البديلة؛ أو حتى مستقبل السكان بعد تهجيرهم. وتدور القضية الرئيسية في الدراسة الراهنة حول معالجة تلك المسألة، فمن الأهمية بمكان تسليط الأضواء السوسيولوجية والأنثروبولوجية على تلك الصراعات التي تنال من هوية الجماعة النوبية وتسعى إلى إنكارها، فالاعتراف بهوية أية جماعة إنسانية

(*)من كلمة الرئيس جمال عبدالناصر إلى أهالي النوبة في ١٩٦٠/١/١١.
<http://nasser.org/Speeches/List.aspx?lang=ar&page=1&search=true&ttl=أهالي%٢٠النوبة&fDate=&TDate=&speechType=0> . تاريخ الاطلاع ٢٠-٤-٢٠٢١

هو مسألة حيوية لا يمكن لأية جماعة أن تتجاهلها أو أن تسمح بذوبان هويتها تمامًا، ومن ثم تنشأ صراعات رمزية وأخرى صريحة في إطار السعي إلى الاعتراف بوجود وهوية الجماعة، وهو الأمر الذي حاولنا عبر الدراسة الراهنة تقديمه إلى القارئ وصانعي القرار حتى يتسنى فهم مطالب وتحديات الجماعات الإثنية التي تشكل جزءًا مهمًا من تاريخ ومصير الوطن ولا يمكن تجاهله أو إنكاره.

## أولاً : مُشكلة الدراسة:

ترجع جذور المسألة النوبية –ليس فقط– إلى مراحل وعمليات التهجير القسري التي شهدتها تلك الجماعة طوال مراحلها التاريخية المختلفة؛ فبالإضافة إلى ظروف الاغتراب المكاني، وصعوبة الحياة الاجتماعية والمعيشية فقد واجه النوبيون عاملاً أيديولوجيًا مُنكرًا لهويتهم، وكما لاحظ سمير أمين «أن حركات التحرر الوطني التي ظهرت في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين قد اختارت بشكل صارم مبدأ الجبهة الموحدة، والتأكيد على وحدة الشعب من أجل النضال ضد الإمبريالية، وعمل ذلك على تجاوز الآفاق المحدودة للتنوع الإثني والمجتمعي» (Amin, 2013:165). وكما ترى فاتن عباس «فإن تلك الحركات التحررية لم تكن تقدمية دائمًا، فهي كانت في أزمة شاملة نتيجة لحسها الإقصائي، فإذا كانت عروبة مصر قد عملت على جعل مصر رائدة وذات مكانة كبرى في العالم العربي إلا أن هذا التأطير أساء إلى مكانة الجماعة النوبية، وذلك عن طريق إنكار خصوصيتها وهويتها المختلفة عن القومية العربية» (Abbas, 2014: 165). إن الأمر الذي ينبغي الإشارة إليه أن الولاءات التقليدية قد تكون وسيلة ملائمة للتكامل القومي وليست معطلة له. وكان "والرشتاين" قد دحض فكرة تغلب الولاءات الحديثة على التقليدية، حيث كان ينظر إلى تلك الولاءات التقليدية «على أنها وظيفة للتغير الاجتماعي الحضري، ومن ثم فإن هذه الولاءات تتغير ولكنها لا تزول» (Wallerstein, 1960:31).

وتحفل النظرية السوسيولوجية برؤى عديدة تعيد الاعتبار إلى الولاءات التقليدية، بل وتطالب بالاعتراف بها، وعدم إنكارها، وتمثل هذه الدعاوى والنظريات إطارًا واقعيًا مستوعبًا للتركيب الاجتماعي في المجتمع الإنساني، «فمن بين مائة وثلاثة وثمانين دولة مسجلة في الأمم المتحدة عام ١٩٩٣ فإن عددًا صغيرًا جدًا من الدول كانت متجانسة إثنيًا، فالتعددية الإثنية هي السمة الغالبة في المجتمعات الإنسانية»(Williams, 1994: 49).

وكان "هونيث" قد أكد «أن كلاً من تكوين هوية الفرد، وتكوين وبناء مجتمع حديث خالٍ من الأمراض الاجتماعية يتطلب الاعتراف بحقوق كل فرد فيه من حيث ثلاثة مجالات: الحب والاحترام والتقدير»( Schmitz, 2019: 3). وليست الحاجة الإنسانية إلى الحب، والاحترام، والتقدير منعزلة عن الوقائع الاجتماعية والسياسية للعديد من الجماعات الإنسانية التي تواجه معاني وموضوعات الوصم الاجتماعي، والإنكار لهويتها، فالحاجة الجمعية إلى الحب والاحترام والتقدير هي معاني تتجلى في صميم دوافع ومسببات النزاعات الاجتماعية والإثنية، ومن ثم أكد "هونيث" على مأسسة تلك الحاجات الإنسانية، بحيث تتهيكل في مؤسسات الدولة ونصوص القانون، وطرق ممارسته وتطبيقه. وإن كانت نظرية فرانكفورت عمومًا ومساهمات "هونيث" خصوصًا تنأى عن الوعي الماركسي لتحقيق تلك الحاجات الاجتماعية، فليست الطبقة –أية طبقة– هي وحدة التحليل، لكنها الجماعات الإنسانية التي تتخذ هوية جمعية لهم؛ سواء كانت تلك الهوية ثقافية، أو دينية، أو طائفية، فالانتماءات الجمعية المشتركة صارت أدوات تعريفٍ وتشخيصٍ للهوية، حيث أصبحت الهويات القومية والعرقية قضايا مهمة في السنوات الأخيرة وأصبح لا مفر من التعامل مع تلك القضايا بمزيد من الموضوعية وعدم الإهمال، حيث قد تعمل الانتماءات الوطنية الجارفة في بعض الأحيان على إلغاء وتجاوز الانتماءات والأقليات الإثنية وعدم الاعتراف بها، الأمر الذي ترتب عليه مزيدًا من الصراعات الاجتماعية بل وفي بعض الأحيان نمو النزعات الانفصالية. وكما يقول

"هونيث" «فإن النضال من أجل الاعتراف يعتبر مكونًا جوهريًا من أطروحات النظرية النقدية المعاصرة»( Schmitz, 2019: 3).

وعانت الجماعة النوبية تاريخًا من الإنكار الأمر الذي دفعهم –لعقود طويلة– إلى التمركز حول الذات؛ باعتبار أن ذلك نوعًا من الحماية تجاه ما يتم نحوها من إنكار أهميتها ووجودها. فنحن إذن إزاء تراث معتبر من الإنكار وعدم الاعتراف –ليس فقط– بهويتهم ولكن أيضًا بوجودهم الاجتماعي. وتجيء محاولات الدولة المصرية لضبط النيل كي تضيف إلى تراث الإنكار الذي تعانيه الجماعة النوبية، فخلال الأعوام ١٩٠٢–١٩١٢–١٩٣٣–١٩٦٤ كانت ثمة عمليات منظمة تتم لتهجير النوبيين عن قراهم إلى قرى أخرى غريبة عليهم، ولا تَمُتّ إلى النيل بصلة. ففي عام «١٩٦٣ بدأت السلطات المصرية برنامج إعادة توطين النوبيين في أماكن جديدة خاصة كوم أمبو ٥٠كم شمال مدينة أسوان، حيث ما يقارب الخمسين ألفًا من النوبيين –يمثلون أربعةً وأربعون قرية نوبية– تم إعادة توطينهم بعيدًا عن نهر النيل، وكان القليل من النوبيين راضون عن معيشتهم، حيث واجهوا مشكلات كبيرة في السكن، فقد كانت المساكن الجديدة إما غير مكتملة، أو أنها سيئة، وغير ملائمة للنوبيين» (Janmyr,2017:2).

وبمراجعة بعض الدراسات التي تناولت الحالة الإثنية في بعض الدول العربية –على سبيل المثال ليبيا– لاحظت «تغليب الثقافة العربية وطمس الملامح الثقافية الأمازيغية عبر وسائل التهميش الاجتماعي والثقافي، مما أدى إلى توجيه الأمازيغ نحو التكتل الجغرافي والانغلاق على الذات للحفاظ على هويتهم من خلال الحفاظ على لغتهم الأمازيغية وتعليمها لأبنائهم كوسيلة للاتصال اليومي»(عبدالباري، ٢٠١١: ١٧٦–١٤١). فقد كان واضحًا أن الإدماج القسري في الهوية القومية لم يراعي الانتماءات الإثنية التقليدية بل اعتبرها غير مهمة، ودليلاً على الانقسام؛ ومن ثم عمل على عدم الاعتراف بهذا الأمر الذي واجه مقاومة شديدة، أو هو صورة من صور الصراع من أجل

الاعتراف بالهوية. ولا يمكن للباحث في مسألة الهوية تحديدًا أن يتجاهل حاملي التراث الإثني من كبار السن الذين يمثلون دلالة مرجعية في عملية إعادة إنتاج الهوية والحفاظ عليها، ففيما يخص الهوية «عادة ما يكون الكبار أكثر فخرًا بالقومية من الأجيال الشابة. ففي الغرب والولايات المتحدة الشمالية وأوروبا الغربية فإن التمسك بالقومية والاعتزاز بها يكون أكبر بشكل ملموس بين الأجيال الأكبر سنًا بينما يميل الشباب إلى أن يكون أقل تشبثًا بالهويات الثقافية» (عبدالحي، ٢٠١٧: ٧٩-٨٨). وبناء على ما سبق تَحدد الهدف العام من الدراسة الراهنة في محاولة الكشف عن صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين في محافظة السويس. وانطلاقًا من الهدف العام للدراسة فإنه يمكننا القول أن مشكلة الدراسة الراهنة تتمثل في الإجابة على التساؤل التالي: ما صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين بالسويس؟

## ثانيًا: أهداف الدراسة وتساؤلاتها

يتمثل الهدف العام للدراسة الراهنة في محاولة الكشف عن صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين في محافظة السويس. ولتحقيق هذا الهدف حاول الباحثان الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- ما ملامح التغير في الهوية الإثنية عبر الأجيال النوبية المقيمة بالسويس؟
٢- ما خصائص عملية الاعتراف بالهوية الإثنية لدى أجيال النوبيين في السويس ؟
٣- ما صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين بالسويس؟

## ثالثًا: مفاهيم الدراسة وتعريفاتها الإجرائية:

### ١-الهوية الإثنية :

يمثل البحث في جذور مفهوم الهوية عملاً متأصلاً في فلسفة القرن١٩ «حيث شهد مفهوم الهوية تطورًا مهمًا مع مجموعة من الفلاسفة، أبرزهم "هيجل"، الذي قام بنقل سؤال الهوية إلى حقل العلاقات الاجتماعية، وذلك عبر اعتبار الهوية نتاجًا للاعتراف المتبادل بين الذات والآخر، فهي نتيجة صيرورة صراعية تتشكل عبرها تفاعلات فردية وممارسات اجتماعية موضوعية وذاتية، وبذلك يكون قد أخرج مفهوم الهوية من بعديه الفردي المحض والجماعي المحض وذلك عبر التأكيد على أن الهوية هي نتيجة تداخل بين الفردي والجماعي داخل الذات الإنسانية»(خيدون، ٢٠٢٠: ٦٨).

وبشكل عام يمكن القول أن الهوية ليست مُعطىً حتميًا ولا إلزاميًا؛ فهي حالة يتم خلقها ولكنها محددة بسرديات وأُطر ثقافية تتصل بتحديد أيٍ من الناس الذين يرتبطون معًا بهوية محددة، وكذلك بتوصيف للسياق البنائي الذي يعيش فيه هؤلاء الناس((Mesher Lamont,172). وبمراجعة التراث المتعلق بدراسة الهوية الجمعية يمكن القول أن تعريف الهوية الجمعية يدور حول مجموعة من المساهمات التي تشير إلى: «مجموعة من السمات الثقافية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع من ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عمن سواهم من أفراد الأمم والجماعات الأخرى»(شعبان، ٢٠١٧: ٢٠).

ومن أنماط الهوية الجمعية الأشهر، والأكثر انتشارًا وتوزيعًا عبر العالم تأتي الهوية الإثنية في الواجهة، وقد «استعملت كلمة Ethnicity لأول مرة في اللغة الإنجليزية في القرن الرابع عشر وظلت تستخدم للإشارة إلي الأفراد المهمشين أو المكروهين، كما كان الأوربيون يطلقون لفظة إثنية على من ليسوا مسيحيين أو يهود» (مريم وحسينة، ٢٠٠٨: ١٨). «أما أول استعمال معاصر

لمصطلح الإثنية قد ظهر عام ١٩٠٩، كما أشارت إليه وثيقة إعلان حقوق شعوب روسيا ١٩١٧، حيث وردت الإشارة إلي المجموعات الإثنية تميزًا لها عن الأقليات القومية» ( عبدالسلام، ٢٠٠٠: ٩٦).

«ولكن منذ الستينيات أصبح لفظ الإثنية يستخدم للدلالة على اشتراك مجموعة من الأفراد في اللغة والتاريخ والتقاليد والدين والنسب، وتعيش في إطار مجتمع واحد جماعة أو جماعات أخرى تختلف عن بعضها البعض في سمة واحدة أو عدة سمات، فهذا المصطلح يشير إلى جماعة لا تعرف بالنظر إلى مؤسسات سياسية ولكن بالنظر إلى عاداتهم وتقاليدهم وعلاقة اللغة أو الروابط الإقليمية بالوعي فيها بين أعضائها» (عبدالحفيظ، ٢٠٠٥: ٣١).

ويمكن العودة إلى جذور البحث السوسيولوجي في مسألة الهوية الإثنية – تحديدًا – إلى تراث الحراك الاجتماعي والسياسي في أواخر ستينيات القرن العشرين، حيث نمت بشكل واضح سياسات الهوية وانتهت عند تلك اللحظة الدعاوىَ الحداثية التي انطلقت من رؤى محافظة في أغلبها –التي تقول بضرورة تجاوز المصطلحات البدائية– من قبيل الإثنية، والقومية؛ كما تصور "ماكس فيبر" حدوث ذلك، ولكن « تم إثبات خطأ وجهة النظر هذه، ففي الحقيقة تنامت العرقية والقومية وأشكال أخرى لسياسات الهوية»( إريكسون، ٢٠١٢: ٩).

وهناك تعريفات أخرى «ترتكز على علاقات القوة في المجتمع، فترى الجماعة الإثنية على أنها تلك الجماعة التي تُعَرِف نفسها وتُعَرَف من جانب الآخرين على أساس أنها حائزة لمقومات ثقافية مختلفة عن الجماعات المسيطرة، الأمر الذي يؤثر في حقوقها في المساواة السياسية والاجتماعية الاقتصادية»(الكفارنة والنجادات، ٢٠١٩: ١٧). وتشهد التجربة التاريخية والمعاصرة على أن أغلب الصراعات والنزاعات حول العالم هي ذات مركب إثني؛ أو أنها تحمل بُعدًا إثنيًا، ويعتبر الاهتمام بمفهوم الصراع الإثنى من الاهتمامات الحديثة في العلوم الاجتماعية «فلم يكن لمفهوم الصراع الإثني

حضورًا مؤثرًا قبل عام ١٩٦٠»(Landis and Albert, 2012:1). ولا يعني ذلك أن الصراع الإثني هو صراع حديث لم يكن موجودًا من قبل، بل إن ذلك يشير إلى العمليات والأطر الأكاديمية والسياسية الجديدة التي تحاول فهم التباينات والاختلافات في كل مجتمع بعد أن كان يتم إغفالها لصالح الكل الجمعي. ومن الواضح أن الباحثين «يرتبكون عند استخدام مصطلح الإثنية (العرقية) والعنصرية، حيث قد يخلطون بينهما إلا أنه يجب أن نوضح أن الإثنية هي الأكثر قبولًا في تحديد المعنى الاجتماعي للعنصرية» (Landis and Albert, 2012:1).

«وهذا يوضحه "بانسون" عندما يشير العنصر إلى التصنيف الفئوي السلبي للناس، بينما العرق ذو صلة بالتماثل الإيجابي للجماعة»( إريكسون، ٢٠١٢: ٩). وهناك العديد من المحاولات النظرية التي حاولت فهم مسألة الصراع الإثني «حيث أن الاتجاهات السلبية تجاه بعض الجماعات (التحامل) يخلق ويسبق الصراع ومن المهم فهم الظروف والعمليات التي يحدث في ظلها هذا التحامل»(Landis and Albert, 2012: 1).

وتميز العديد من الدراسات في مجال الهوية الإثنية بين نوعين من السلوك المرتبط بالهوية الإثنية «ويتمثل النوع الأول في السلوك الخارجي الظاهر للهوية الإثنية، ويشتمل على مكونين: الثقافي والاجتماعي؛ ومثال لذلك ١- التحدث باللغة الإثنية ٢- ممارسة التقاليد الإثنية ٣- المشاركة في الشبكات – الشخصية – الإثنية مثل الأسرة والصداقة ٤- المشاركة في المؤسسات والتنظيمات الإثنية مثل دور العبادة المرتبطة بتلك الجماعة الإثنية، والمدارس، ووسائل الإعلام الخاصة بها. ٥- المشاركة في الروابط الطوعية الإثنية مثل النوادي، وتنظيمات وتجمعات الشباب ٦- المشاركة في الأنشطة التي ترعاها التنظيمات الإثنية مثل النزهة الجمعية، والحفلات الموسيقية، والمحاضرات العامة، والسباقات، والاحتفالات. بينما المكونات الداخلية للهوية الإثنية تقوم على الصور النمطية، الأفكار، والمشاعر، والاتجاهات، وبشكل

عام يمكن القول أن المكونات الداخلية للهوية تقوم على ثلاثة أبعاد : معرفي وأخلاقي وعاطفي»(Isajiw, 1993:8).

وتقوم بعض الدراسات بالحديث عن أبعاد الهوية « معرفية – عاطفية – سلوكية، ومن الملاحظ أن غالبية الدراسات الإمبيريقية تتناول الجانب السلوكي، وهو ما يقوم به علماء الاجتماع أكثر من نظرائهم في علم النفس الذين يدرسون الجانبين المعرفي والعاطفي، وتتمثل مؤشرات الجانب السلوكي في: حضور المناسبات الجمعية للجماعة الإثنية، والمساهمة في التنظيمات والروابط الخيرية الإثنية، وكذلك مراعاة التقاليد الدينية للجماعة الإثنية» (Cohen, 2004: 103).

ويجتهد العديد من الباحثين في تفسير الجوانب الثلاثة المميزة للهوية، فإذا «كان الجانب المعرفي يتحدث عن معايير الهوية كما يعرفها ويدركها أبناء الجماعة الإثنية، فإن الجانب العاطفي يشير إلى الرموز والمعاني، وتظهر العديد من الدراسات التي تميز بين خمس موضوعات تتقاطع مع المكونين المعرفي والعاطفي المحددان للهوية:

١–موطن الإثنية ٢– الدين والتعليم الديني ٣– الانتماء إلى الموطن الأصلي ٤– الثقافة ٥– العالمية أو الموقع من الخطاب العالمي عبر انتمائه الإثني»(Cohen, 2004: 103). وبالرغم من أهمية متابعة تلك المؤشرات وغيرها الخاصة بالتحديد الإجرائي للهوية إلا أنه يجب الأخذ في الحسبان مسألة مهمة، ألا وهي كيف يُعرف الناس أنفسهم؟ وكان ذلك السؤال مُلحًا علينا أثناء عملية تحليل التراث النظري تمهيدًا لنزول الميدان، حيث كان ضروريًا قبل نزولنا إلى الميدان أن نتخذ عدة إجراءات: ١–أن يكون لدينا تصورًا لما تعنيه الهوية الإثنية، وفي تلك المرحلة اتفقنا مع العديد من الأطروحات التي ترى أن «الهوية الإثنية للمهاجرين تتأثر بالمجتمع المُضِيف لهم، ومن ثم فإن دراسة الهوية عند أجيال المهاجرين لابد أن تراعي التفاعل بين الثقافة التقليدية للجماعة الإثنية والثقافة المهيمنة للمجتمع المضيف، وهذا الشرط أساسي في

أية دراسة تجري حول وعن أية جماعة إثنية في الشتات» (Cohen, 2004: 2.103)

٢-أن بنية «وطبيعة الهوية الإثنية في حالة تحول دائم، بل إن ذلك التحول قد يطال المجتمعات الإثنية التقليدية بشكل طوعي» (Isajiw, 1993: 7)

٣-«أن الهوية الإثنية صارت مسألة مهمة في عالم ما بعد الحداثة، ومن ثم صار الناس مهتمون بتعريف أنفسهمللآخرين » (Cohen, 2004: 99).

٤-وكان مهمًا أن نقوم بزيارة ميدانية تجريبية حتى يتسنى لنا بناء التعريف الإجرائي للهوية، ومن ثم طرحنا سؤالاً مفتوحًا لعينات متباينة من حيث السن، وكان السؤال: ما معنى أن تكون نوبيًا في السويس؟ وكان ذلك متفقًا مع نهج العديد من الدراسات الحديثة التي أكدت على أهمية تعريف المبحوثين للظاهرة موضع الدراسة.

**وقادت الإجراءات السابقة إلى تحديد مؤشرات للهوية الإثنية لنوبي السويس والتي تتمثل في:**

أ-الحفاظ على اللغة النوبية (الماتوكية) الخاصة بجماعة الكنوز النوبية.ب-التاريخ والعادات والتقاليد المشتركة.

ج-الانتماء إلى المكان (موطن الأجداد والآباء) وهو ما يميز النوبي عن غيره من الجماعات.

د-نمط العمران: في مجتمع المهجر وكيف يميزهم عن غيرهم، وفي نفس الوقت يعيد التذكير بالموطن الأصلي للهوية.

و-التنشئة الاجتماعيةس-التضامن والتصورات الجمعية المشتركة.

ح-التقاليد الدينية: الارتباط بالطريقة الصوفية.

**الاعتراف:**

لم تظهر مشكلة الاعتراف مؤخرًا بل هي قديمة قدم الفلسفة، غير أنها لم تُطرح كمسألة فلسفية أو سوسيولوجية إلا في العصر الحديث، حيث «لم

يظهر هذا المفهوم كسؤال فلسفي سوى في العصر الحديث مع رسو وآدم سميث وهيجل، وقبل هذا العصر كان هناك تصورات عامة حول الاجتماع البشري(أفلاطون) وحول الأخلاق والتدبير الذاتي (أرسطو) وحول تقنيات الاعتراف أمام الخطيئة لطلب الغفران (أوغسطين )» (الزين، ٢٠٠٨: ١٢٥).

ويمتد الخط الهيجيلي ليصل في القرن العشرين إلى قطار مدرسة فرانكفورت التي راعها أن الهيمنة تمتص كل قوى الثورة، وتَحول دون قيام كيانات مميزة تعبر عن هويتها المختلفة والأصيلة، خاصة وأن القمع الذي تُمارسه البنية ليس قمعًا موضوعيًا فقط، بل إنه قمعًا ذاتيًا بالأساس، الأمر الذي دفع "ماركيوز" إلى البحث عن فاعل احتجاجي جديد، ممثلاً في «قوى اجتماعية جديدة لم تنخرط بعد في مؤسسات المجتمع القائم وهي (القوى الهامشية) في المجتمع التي لم يتم استيعابها وإدماجها كالمنبوذين والعاطلين عن العمل» (بومنير، ٢٠١٠: ٢٤٢).

وبمراجعة التراث التاريخي المتوفر عن الصراعات الإثنية في بلدان العالم الثالث نكتشف أن ميراث مرحلة ما بعد الاستقلال في ستينيات القرن العشرين قد تكشف عن حقيقة مهمة وهي أن تلك المجتمعات المستقلة حديثًا ذات أبنية متعددة الإثنيات؛ تلك الأبنية التي تضررت بشدة نتيجة الصراعات الإثنية المنهكة والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من البشر. وقد تطورت نظرية الاعتراف في علم الاجتماع خاصة عند مدرسة فرانكفورت–الجيل الثالث– حيث تبدأ جذور هذه المدرسة في تحليل مفهوم الاعتراف بداية من "هيجل" الذي كان يعتقد «أن النضال بين الفاعلين من أجل نيل الاعتراف المتبادل بهويتهم من شأنه أن ينتج ضغطًا مجتمعيًا داخلي تجاه المأسسة السياسية والعملية والتي بإمكانها أن تمنح الحرية»(Honneth, 1995: 5). وقاد ذلك التصور "بهيجل" إلى أن يفهم الصراع من أجل الاعتراف باعتبار أن ذلك الصراع يمثل خللاً في بنية الاعتراف المتبادل، «أو هو بالتحديد اضطرابًا وانتهاكًا للعلاقات الاجتماعية المكونة للاعتراف(Honneth, 1995: 10).

ومن الضروري في هذه النقطة أن نقوم بإيضاح الدور الذي قام به "هونيث" من أجل تأويل أعمال "هيجل" المبكرة حول مفهوم الاعتراف «حيث عمل "هونيث" على تطوير نمط للتمييز أو التصنيف بصور الاعتراف المختلفة حيث جمع "هونيث" بين ما أسماه النموذج الأنثروبولوجي والأحداث التاريخية المتكررة، ومن أمثلة تلك الأحداث الثورات الاجتماعية وحركات الأقليات المطالبة بحقوقها. ولقد أوضح "هونيث" أن كلاً من عملية تشكيل هوية الفرد، والسعي إلى الوصول إلى مجتمع حديث سوي يتطلب اعتراف متبادل بين أعضاء المجتمع بحق كل فرد في الحب،الاحترام، التقدير» (Honneth, 1995: 3). واتجه "هونيث" إلى تمكين البشر بدون النظر إلى طبقاتهم أو انتماءاتهم الاجتماعية. وذلك حتى يتسنى له على المستويين الفردي والجمعي من تحقيق الاعتراف بوجودهم وحقوقهم حيث يتكون الاعتراف من ثلاثة مجالات بينذاتية وهي: الحب، والحق (القانون)، والتضامن، متناسبة مع ثلاثة نماذج من تحقيق الذات وهي :تحقيق الثقة في النفس، تحقيق احترام الذات، تحقيق التقدير الاجتماعي:

١-**الحب:** يعرّفه "هونيث" بأنه مجموعة العلاقات الأولية والأسرية، إضافة إلى علاقات الصداقة الموجودة بين الناس. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نعتبر الحب علاقة تفاعلية مؤسسة على نموذج خاص للاعتراف المتبادل. وهذا يعني أن هناك علاقة متداخلة بين العلاقات العاطفية وقدرة الفرد على الشعور بقيمته أو مكانته التي تجعله يثق في نفسه»(بومنير، ٢٠١٠: ١٠٨،١٠٩).

**٢- الحق (القانون):**

«يرى "هونيث" في الحق على المستوى القانوني الشكل الثاني من أشكال الاعتراف المتبادل؛ فالاعتراف القانوني هو الذي يضمن للفرد الشعور بالحرية وبالاستقلال الذاتي عبر تحقيق حقوقه الذاتية الموزعة بالأساس على ثلاثة مستويات أساسية: حقوق مدنية، والتي تضمن للفرد الحرية والحياة

والحماية من استبداد الدولة، وحقوق سياسية تتيح للفرد إمكانية المشاركة في صيرورة تكوين الإرادة العامة، وحقوق اجتماعية تضمن التوزيع العادل للملكيات. يشكل الاعتراف القانوني ركيزة أساسية من الركائز المكوِّنة للهوية الذاتية، فغياب الاعتراف يُفقد الفرد صفة الشخص ووضعيته»(هونيث، ٢٠١٥: ٢١٩).

**٣-التضامن:**

«يرى "هونيث" أن التضامن هو الصورة الأكثر اكتمالاً من العلاقة العملية بين الذوات.وهذا لتحقيق مقصد أساسي يتمثل في إقامة علاقة دائمة بين أفراد المجتمع، بحيث يتمكن كل فرد من التأكد من أنه يتمتع بمجموعة من المؤهلات والقدرات التي تسمح له بالانسجام مع وضعه الاجتماعي» (بومنير، ٢٠١٠: ١٣٢).

«ويشكل الاعتراف بثقافة وتقاليد الجماعات الإثنية واحدًا من أهم المطالب التي تعمل هذه الجماعات على تحقيقها داخل الدولة، لأن اعتراف الدولة بتلك القيم واعتبارها جزء لايتجزأ من التراث الحضاري للدولة ككل من شأنه أن يزيد من قيمة المجموعة الإثنية داخل الدولة، ويكسبها مزيدًا من الثقة وفرض الوجود القيمي داخل الدولة، وفي هذا الصدد يتم الاعتراف بلغة الجماعة وأعيادها ومختلف طقوسها، ورموزها وشعاراتها وإدخالها في الاحتفالات الرسمية للدولة»(مهدي، ٢٠٠٢: ٨٣). ومن القضايا النظرية التي تتفق معها الدراسة الراهنة عند محاولة تقديم تعريف لمفهوم الاعتراف، كان ما طرحه تايلور من أن «الهوية تتحد ويتم صياغتها وتشكيلها -ولو جزئيًا- عبر اعتراف الآخرين بتلك الهوية، وكذلك يساهم غياب ذلك الاعتراف وإنكار تلك الهوية وخصائصها في تحديد سمات حاملي الهوية وسلوكياتهم» (Taylor, 1995: 25). وكان -"فريزر" وهو من أبرز المهتمين بنظرية الاعتراف- قد أكد على أن « الاعتراف لا يُفهم خارج الترتيبات المؤسسية والتنظيمية؛ والتي من شأنها أن تحسن أو تقلل من المساواة في المكانة بين الأفراد والجماعات،

فالمؤسسات –وليس الأفراد– هي من تمنح الاعتراف» (Sebrechtsa, Tonkens, Da Roit, 2019:174). وكان "هونيث" قد خالف "فريزر" عندما منح استقلالية تامة للاعتراف باعتباره محددًا وشرطًا لازمًا لتحديد الهوية،«ولم يقبل أن يخضع الاعتراف للبنية، فالاعتراف هو الأساس والمحدد لتحقيق العدالة الاجتماعية، وكذلك هو المتطلب الرئيس لإعادة إنتاج الاعتراف بالهوية، بينما الإنكار هو السبب الرئيسي لغياب المساواة الاجتماعية» (Sebrechtsa,Tonkens, Da Roit, 2019:175).

غير أن الدراسة الاستطلاعية التي أجريناها في بداية الدراسة أجهضت تلك الفكرة عن المسئولية الوحيدة للمؤسسات في الاعتراف أو إنكار الهوية، فالبيانات المستخلصة من حالات الجيل الثالث للدراسة أكدت على التفاعل بين المؤسسات والمجتمع في الاعتراف بالهوية أو إنكارها، وهو ما سيرد ذكره تفصيلاً في الدراسة الميدانية.

وقد كشفت العديد من الدراسات التي أُجريت على مهاجرين – ينتمون إلى إثنيات مختلفة – «عن أن الهوية الإثنية لهؤلاء المهاجرون تتأثر بالثقافة المحيطة بهم في بلاد المهجر»(Cohen, 2004: 88). وهو ما لاحظناه في مرحلة الدراسة الاستطلاعية من حيث تميز نوبيي السويس عن نوبيي أسوان، من حيث بعض الممارسات الاجتماعية التي استجابت وتكيفت مع ثقافة مجتمع السويس، وكان (Zenou, 2006) قد توصل إلى«الجماعة الإثنية التي تقيم في أحياء مختلطة – مع جماعات أخرى– تكون أكثر إظهارًا لسلوكيات التنشئة الاجتماعية المرتبطة بالهوية الخاصة بهم؛ وذلك مقارنةً بسكان الأحياء المنعزلة إثنيًا»(Cohen, 2004: 88).

**وفي ضوء المعطيات النظرية والميدانية السابقة قرر الباحثان صياغة التعريف الإجرائي للاعتراف في ضوء المؤشرات التالية:**

١– **إعادة احياء اللغة النوبية:** عبر التعليم غير الرسمي وكذلك الدعوة للحفاظ على اللغة النوبية عبر المناسبات والفرص الإعلامية المتاحة.

٢-**التذكير وعرض المظالم الجمعية:** ويتفق ذلك مع ما طرحه "فريزر" من ضرورة تلازم الاعتراف مع إعادة الإنتاج حيث إعادة الإنتاج تشير إلى إعادة مستمرة لطرح قضايا الهوية طلبًا للاعتراف بها من جانب المجتمع والمؤسسات.

٣-**إظهار العادات والتقاليد والأخلاق الحميدة:** وهي تتفق مع ما طرحه "تايلور" -وذكرناه سابقًا- من أن الهوية تتقرر باعتراف الآخرين بها.

٤-**الاندماج والتضامن مع المجتمع المحلي:** وذلك يتماشى مع ما ناقشناه سابقًا من أن المهاجرين الإثنيين يصيروا أكثر تأثرًا بثقافة مجتمع المهجر، ومن ثم أكثر انفتاحًا عليه.

٥- **المطالبة بالحقوق الجيلية:** وهو مطلب مهم يمكن الجماعة النوبية بالسويس من الارتباط بهويتها المكانية، حيث المطالبة بالاعتراف بحقوق أهل النوبة -على تباعد أجيالهم وتعددها- في أرض النوبة القديمة.

٦-**المطالبة بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية للجماعة النوبية:** وهو يتفق مع فكرة الاعتراف بالمواطنة لنوبيي السويس.

٧-**إدراك المخاطر الجمعية المهددة للهوية:** وهو أمر يشير إلى التعبئة الرمزية للجماعة النوبية حتى يتسنى لها بذل الجهد في حماية هويتها عبر اعتراف الذات والآخرين بها.

**ثالثًا- الأجيال:**

سبق ابن خلدون النظريات الحديثة بتناوله الأجيال، حتى أنه تناولها من خلال نمط الإنتاج أو المعاش بالمعنى المعاصر «إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش» (ابن خلدون، ٢٠١٩: ٣). وهو الأمر الذي يشير إلى فهم متقدم من ابن خلدون في ربط الخصائص العامة لكل جيل بالتباين في الظروف البنائية للجيل.

ويأتي القرن العشرين ليشهد اهتمامًا مكثفًا يبديه علماء الاجتماع،

بقضية الأجيال، ويأتي "كارل مانهايم" ليكون من رواد دراسة الأجيال، وهو ما يؤكده بقوله: «إن مشكلة الأجيال واحدة من الأدلة التي لا غنى عنها لفهم بنية الحركات الاجتماعية والفكرية. حيث تصبح أهميتها العملية واضحة بمجرد أن يحاول المرء الحصول على فهم أكثر دقة للوتيرة المتسارعة من سمات التغيير الاجتماعي» (Mannheim, 1952: 163 ). وإذا كانت مفاهيم من قبيل: العائلة أو الطبقة أو الطائفة أو القبيلة وغيرها من المفاهيم التي كانت متداولة في التحليلات السوسيولوجية إلا أن معالجة "مانهايم" كانت مميزة؛ فقد تمكن من ابتكار وحدة جديدة للتحليل تعمل على تنظيم الوقائع الاجتماعية، وبما يمنح تفسيرًا مختلفًا للتحولات التي تحدث في أنماط الحياة أو روح العصر، وقد اعتبر "مانهايم" أن المفاهيم السابقة هي بمثابة مفاهيم ثابتة أو موضوعية، التي تقوم على روابط شخصية، ومعرفة مسبقة، ووثيقة، حيث معيار الوحدة والتضامن يقوم «على الروابط الوجودية والحيوية من جراء القُرب، أو التطبيق الواعي للاختيار الرشيد، حيث الجيل ليس مفهومًا جامدًا، ولا يحتاج روابط تقليدية» (Mannheim, 1972: 289 ).

وإذا كانت العضوية الجيلية لا تقوم على روابط جامدة أو علاقات وأواصر تقليدية، فإن "مانهايم" حاول شرح بنية تلك العضوية بتشبيهها بالعضوية الطبقية وإذا كان من الممكن تحديد «الموقع الطبقي بأبنية الاقتصاد والقوة في المجتمع؛ فإن تحديد الموقع الجيلي يعتمد على التوافد البيولوجي للوجود الإنساني والذي لا ينقطع، ومن ثم فإنه يمكن القول أن الأفراد الذين ينتمون إلى جيل ما هم أولئك الأفراد الذي يتشاركون في نفس سنة الميلاد، ويرتبطون معًا بموقع مشترك من حيث البُعد التاريخي للعملية الاجتماعية» (Mannheim, 1972: 289 ). أي أن "مانهايم" قد قام بتعريف الجيل «بأنه الزمر من نفس العمر التي تشغل وضعية متجانسة في العملية التاريخية والاجتماعية. ولكن المعاصرة الزمانية ليست وحدها وفي حد ذاتها هي التي تنتج وضعية متجانسة للجيل، بل يجب أن يتوافر الوعي والهوية الجيلية إلى

جانب التعرض للحدث المؤسس»(عبدالحي، ٢٠١٧: ٨٠).

وإذا كان "مانهايم" قد تصور أن تحقيق الجيل للوعي والنضج الاجتماعي – الموحِد بين أبناء الجيل الواحد – يعتمد على الأحداث التاريخية التي تشكل مسيرة كل جيل، فليست رغبة أو إرادة الجيل كافية «بل يلزم حدوث تحولات اجتماعية تنال من الاتجاه العام للجيل، فإن باحثان أمريكيان "ستراوس" "وهاو" قد ذهبا إلى ضرورة بحث كيف أن الأجيال ذاتها قد تشكل الأحداث التاريخية» (Knight, 2009: 14) وأن القدرة على «تمييز جزء من الزمن وفقا لمفهوم الجيل يشكل مفهومًا أكثر دقة من مفاهيم القرن والمرحلة التاريخية ومن ثم فإن مفهوم الجيل يمنحنا الفرصة ليكون لدينا معايير لتصنيف الزمن بغير تلك التي كانت تستخدم مفاهيم الزعماء والحكماء والملوك كوسيلة لتصنيف الزمن»(Keeling, 2003: 31).

ويمكن القول أن مفهوم الجيل يرتبط برؤى متنوعة وواسعة متعددة التخصصات والاهتمامات «إلا أن الاستخدام السوسيولوجي كان هو الأحدث ظهورًا والأجدر بسعة الانتشار، ويعود خفوت الاستخدام السوسيولوجي لمفهوم الأجيال إلى أن السوسيولوجيا كانت تدرس الأجيال من دون منهجية محددة ومتماسكة، واستمر ذلك الحال حتى برزت مساهمات كل من الأمريكيين "ستراوس" "وهاو" ١٩٩١، اللذين قاما بتعريف الجيل بأنه تكتل من الناس الذين وُلدوا في فترة من الزمن يعادل عشرين عامًا. وقد كان لنظرية "ستراوس" "وهاو" القبول الواسع ومحاولات التكيف معها في المجتمعات المختلفة، خاصة مع اعتبار أن الجيل هو عشرين عامًا، ويأتي نموذجًا لتحرير مفهوم الأجيال –في ضوء الخصوصية التاريخية– إحدى الدراسات الروسية التي تناولت مهمة تحديد المدى الزمني لتحديد كل جيل عن الجيل الآخر، «وذلك عبر مقاييس كمية اهتمت بمعدلات النمو السكاني، حيث توصل الباحثون إلى أن ثمة ثلاثة أجيال في روسيا ١– جيل الانتعاش والوفرة ٢– الجيل X، ٣– الجيل Y أو الجيل الصغير» (Karashchuk and Mayorova, 2020: 2).

ولعل تلك التصنيفات اعتمدت على تصنيف "ستراوس" "وهاو" اللذين اقترحا أن ثمة هناك ثمانية أجيال كانت تعيش في أمريكا عام ١٩٩١، لكنهما قد اهتما فعليًا بتحديد ستة أجيال هي: «الجيل الأول GI وهم الذين وُلدوا بين أعوام ١٩٠١- ١٩٢٤ وهم أقدم الباحثين والعلماء اليوم، وقد تقاعد أغلبهم، ويمكن وصف هذا الجيل بالعقلانية والشجاعة والثقة في النفس، الجيل الثاني هو الجيل الصامت، وهم من وُلدوا بين أعوام ١٩٢٥-١٩٤٢وقد وصفهما "ستراوس" "وهاو" بأنهم منسحبون وحذرون، ولامبالون وعديمو الخيال والمغامرة، أما الجيل الثالث فهم الذين وُلدوا بين أعوام ١٩٤٣-١٩٦٠ وهم جيل الانتعاش والوفرة Boom Generation وكانوا يتسمون بالعجرفة، وأطلق عليهم الهيبز، ومن أبرز ممثلي هذا الجيل أوبرا وينفري، وأوليفر نورث وآل جور، أما الجيل الرابع فهو الجيل Xوهم من وُلدوا بين الأعوام ١٩٦١ – ١٩٨١، ومازالوا يشكلون عصب القوة الرئيسية في المجتمع الأمريكي، وهو الجيل الذي تحدى انفجارات عديدة في المجتمع الأمريكي. ويمكن وصف السمات العامة لهذا الجيل بأنها تدور حول أنه جيل تائه، ساخر، وضيع، أما الجيل الخامس وهو جيل الألفية Millennial generation وهم الذين وُلدوا بين الأعوام (١٩٨٢-٢٠٠٣) وهو جيل يتمتع بحماية أسرية واجتماعية، الأمر الذي جعلهم متطلعون إلى إصلاح العالم المحيط بهم»(Keeling, 2003: 30). وبشكل عام يمكن القول أن عملية تحديد تشكل الجيل والفئات التي تنضوي تحته من العمليات الجدالية، التي لا يمكن حسمها إلا في ضوء الخصوصية التاريخية والبنائية لكل مجتمع، فمتي يمكن القول أن جيل ما يضم مواليد عام معين أو أعوام متقاربة ! ؟

وتفرض الدراسة المقارنة الاتجاه إلى التصنيف للفئات الاجتماعية التي تشكل التركيب الاجتماعي، ويظهر -واضحًا- أن الغرض من المقارنة والتصنيف هو البحث عن التنوع والثراء المعرفي والميداني، وكذلك الاعتداد بخبرات الفاعلين وتجاربهم وسيرهم، ومن أسس التصنيف ذات الثراء والعمق

التاريخي والاجتماعي يأتي التصنيف وفقًا لمعيار السِن، حيث تتم المقارنة بين عينات تتباين فيما بينها من حيث أعمارها، بينما تتجانس كل عينة مستقلة من حيث الاشتراك في أعمار متقاربة، وهي دراسة من شأنها أن تعالج الفجوات المعرفية عند تتبع ظاهرة اجتماعية ما. وتتدرج تلك العينات في إطار مسمى الدراسات الجيلية، وإذا كان "مانهايم" قد تأثر في دراسته للأجيال بالبيئة الأوروبية فإن "ستراوس" "وهاو" قد تأثرا –في تصنيفهم الشهير للأجيال– بالبيئة الامريكية، وهو الأمر الذي يستدعي تحديد إجرائي للمفهوم بحيث يتفق مع بنية المجتمع موضوع الدراسة. **وفي ضوء المعطيات النظرية والميدانية السابقة قرر الباحثان صياغة التعريف الإجرائي لأجيال المهاجرين النوبيين في السويس في ضوء المؤشرات التالية:** ولما كانت الدراسة الراهنة تهتم ببيان صور التغيرات في الهوية النوبية، علاوة على صور الصراع التي تنخرط فيها الجماعة النوبية حول مسألة الاعتراف بهويتها أو إنكارها، فكان لزامًا رصد صور التغير والصراع عبر تاريخية أو جيلية، خصوصًا وأن الجماعة النوبية تتسم بخصائص مميزة عن غيرها، حيث الرابطة الإثنية تعمل على استمرار التواصل بين الأجيال في سبيل نقل تراث وهوية الجماعة والحفاظ عليه. وحيث أن التراث النظري المتعلق بدراسة الأجيال يميل إلى تقسيم كل جيل بحسب السِن المتقارب، باعتبار أن الجيل هو عشرون عامًا، فكان ضروريًا تقسيم أجيال المهاجرين النوبيين بالسويس إلى فئات جيلية، مع ملاحظة أن الجيل الأول ليس الجيل المؤسس للمهاجرين النوبيين بالسويس، ولكن الجيل الأول هم من تبقى من كبار السن بشرط: أن يكونوا وُلدوا في النوبة القديمة (مواليد الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين)، والذين قضوا فترة من حياتهم فيها قبل أن ينتقلوا إلى السويس ليقيموا فيها إقامة دائمة. أما الجيل الثاني: فهم من مواليد منتصف الخمسينيات حتى أواخر السبعينيات؛ بشرط: أن يكونوا وُلدوا في السويس، ولم يشهدوا النوبة القديمة، ولم يعيشوا في النوبة الجديدة. أما الجيل الثالث: فهم من مواليد الثمانينيات والتسعينيات والذين يمثلون جيل الشباب، وهم

من مواليد السويس، ولم يعيشوا من قبل في النوبة الجديدة. وتم اختيار تلك الشروط لتخدم رؤية الدراسة الراهنة في استخراج معلومات ثرية وحالات غنية تشرح تأثير وصور التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عاصرها كل جيل، وكذا صور الصراع والإنكار للهوية التي واجهها كل جيل، والاستراتيجيات التي اتبعها كل جيل لنيل الاعتراف بهويته، والتمسك بعاداته وتقاليده في مواجهة مجتمع متغير.

## رابعًا: الإجراءات المنهجية للدراسة:

### ١-أساليب الدراسة:

**أ-الأسلوب الوصفي:** وكان الأسلوب الوصفي مدخلًا للباحِثَين ، حيث قدم لهما ضرورة الربط بين المكان وخصائصه واستجابات حالات الدراسة، حيث حرص الباحثان على زيارة الروابط التنظيمية التي تجمع شمل نوبيي السويس، والتعرف على طبيعة المكان والجمهور الذي يتردد عليه، واهتم الباحثان بوصف طريقة التفاعل الاجتماعي داخل تلك الروابط، وخصائص الحاضرين لتلك الروابط وطريقة تفاعلهم معًا واستجابتهم للباحِثَين والمعاني التي تكمن خلف سلوكياتهم، وكان أسلوب الرد على التساؤلات والمشاركة في المقابلات من الملاحظات الوصفية التي اهتم الباحثان برصدها، وفهم التباين فيها وفقا لكل جيل من الأجيال الثلاثة.

**ب-الأسلوب التاريخي:** واهتم الباحثان باستخدام الأسلوب التاريخي من خلال بحث وتقصي التاريخ الاجتماعي لكل حالة من حالات الدراسة، وفهم التغير في خصائص الهوية الإثنية عبر المراحل التاريخية المختلفة لكل حالة، وكذلك الحصول على روايات تاريخية لاتزال حالات الدراسة تحتفظ بها وتنقلها للأجيال التالية، حيث كان مهمًا للباحِثَين أن يصلا إلى التحليل التاريخي الخاص بهجرة الجماعة النوبية إلى السويس وبما يشكل تاريخًا جمعيًا مشتركًا يجب جمعه وحفظه.

**ج- الأسلوب المقارن:** عملت الدراسة الراهنة على دراسة ثلاثة أجيال

مختلفة من نوبيي السويس والمقارنة بينهما، وكان لتلك المقارنة أثرًا كبيرًا في طبيعة النتائج التي خرجت بها الدراسة، ولتحقيق مزيد من العمق حرصت الدراسة على عقد مقارنة جيلية لحالات محدودة، فلم يكن الغرض هو المسح الاجتماعي لكل أجيال النوبيين في السويس، بل كان الغرض الوقوف على الحالات الثرية التي تستطيع أن تضيف شيئًا جديدًا إلى الدراسة.

٢- **طرق الدراسة:** اعتمدت الدراسة الراهنة على عدة طرق منهجية وهي:(جماعات المناقشة البؤرية-المقابلات الفردية-والملاحظة). وقد تم استخدام طريقة جماعة المناقشة البؤرية لتخدم أداة البحث الرئيسية المتمثلة في المقابلة المتعمقة لعينات متباينة من أجيال النوبيين المقيمين في السويس، وتمت عمليات المقابلة بالجمع بين الطرق المختلفة، حيث تمت المقابلة الفردية مع الجيل الأول في حين كان من الملائم إجراء المقابلة مع جماعة المناقشة البؤرية في جيلي الوسط والشباب، أما طريقة الملاحظة فقد ساعدت الباحثان في التمكن من تحديد طبيعة وبنية التساؤلات التي قاما بطرحها في كل مقابلة وكذلك الأفكار والمتغيرات الخاصة بطبيعة الروابط التنظيمية وما تقوم به تلك الروابط.

٣- **مجالات الدراسة:**

أ-**مجتمع الدراسة:** مجتمع الدراسة هو جميع المفردات التي ينطبق عليها الدراسة، وفي هذه الدراسة، هو جميع الأجيال النوبية المقيمة في محافظة السويس بدءًا من الجيل الأول الذي وُلد في النوبة القديمة ثم هاجر إلي السويس وأقام فيها إقامة دائمة مرورًا بالجيلين الثاني والثالث اللذان وُلدا وأقاما إقامة دائمة في محافظة السويس.

ب- **عينة الدراسة:** اتساقًا مع الهدف العام للدراسة، اعتمدت الدراسة الراهنة على العينة العمدية(غير الاحتمالية) في الحصول على مفردات العينة، وحيث كانت العينة تمثل ثلاثة أجيال فقد تم اختيار ثلاث حالات من الجيل الأول قمنا بمقابلتهم كل حالة على حده، وتمثلت حالات الجيل الثاني في خمسة عشر حالة تم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات بؤرية للنقاش تم مقابلتهم داخل الجمعية النوبية والنادي النوبي الرياضي بالسويس، أما حالات الجيل الثالث تمثلت في خمس حالات تم مقابلتهم في إطار الجماعة البؤرية للنقاش

داخل النادي النوبي الرياضي.

**جدول (١). توزيع مفردات عينة الدراسة وفقًا للخصائص الاجتماعية.**

| م | النوع | الحالة العمرية | الحالة التعليمية | الحالة الاجتماعية | حجم الأسرة | الوظيفة | الزواج من نوبية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ذكر | ٧٥ | جامعي | متزوج | ٦ أفراد | بالمعاش | متزوج |
| ٢ | ذكر | ٨٦ | ابتدائية | متزوج | ٥ أفراد | بالمعاش | متزوج |
| ٣ | انثى | ٦٧ | فوق جامعي | متزوجة | ٩ أفراد | بالمعاش | متزوج |
| ٤ | ذكر | ٦٤ | جامعي | متزوج | ٦ أفراد | بالمعاش | متزوج |
| ٥ | ذكر | ٦٧ | جامعي | متزوج | ٦ أفراد | بالمعاش | متزوج |
| ٦ | ذكر | ٥٧ | متوسط | متزوج | ٦ أفراد | موظف | متزوج |
| ٧ | ذكر | ٥٨ | متوسط | متزوج | ٧ أفراد | موظف | متزوج |
| ٨ | انثى | ٥٥ | جامعي | متزوجة | ٥ أفراد | موظفة | متزوج |
| ٩ | ذكر | ٥١ | جامعي | متزوج | ٤ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٠ | ذكر | ٥٦ | جامعي | متزوج | ٥ أفراد | موظف | متزوج |
| ١١ | ذكر | ٥٧ | متوسط | متزوج | ٧ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٢ | ذكر | ٥٣ | متوسط | متزوج | ٤ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٣ | انثى | ٥٥ | متوسط | متزوجة | ٦ أفراد | موظفة | متزوج |
| ١٤ | ذكر | ٥٩ | متوسط | متزوج | ٧ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٥ | ذكر | ٥٧ | متوسط | متزوج | ٥ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٦ | ذكر | ٥٥ | متوسط | متزوج | ٥ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٧ | ذكر | ٥٦ | جامعي | متزوج | ٥ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٨ | ذكر | ٥٨ | جامعي | متزوج | ٧ أفراد | موظف | متزوج |
| ١٩ | ذكر | ٢٩ | جامعي | أعزب | لم يُكَوِن أسرة | بدون | يفضل الزواج |
| ٢٠ | ذكر | ٢٩ | متوسط | أعزب | لم يُكَوِن أسرة | بدون | يفضل الزواج |
| ٢١ | ذكر | ٢٩ | متوسط | أعزب | لم يُكَوِن أسرة | بدون | يفضل الزواج |
| ٢٢ | ذكر | ٢٩ | متوسط | أعزب | لم يُكَوِن أسرة | بدون | يفضل الزواج |
| ٢٣ | ذكر | ٣٠ | متوسط | أعزب | لم يُكَوِن أسرة | بدون | يفضل الزواج |

**ج-النطاق الزمني:** استغرق إجراء الدراسة الراهنة ستة أشهر تقريبًا، مرت خلالها بمجموعة من المراحل اِبْتِدَاءً بمرحلة الإعداد وصياغة الإطار النظري، والتحضير للعمل الميداني، مرورًا بتصميم أداة الدراسة، ومرحلة جمع البيانات الميدانية، التي استغرقت (ستة أشهر) بدءًا من شهر مارس ٢٠٢١ إلى منتصف شهر سبتمبر ٢٠٢١. وصولًا لمرحلة تحليل البيانات، وكتابة التقرير النهائي للدراسة.

**٤-أدوات جمع البيانات:**

**أ-دليل المقابلة المتعمقة:** إذا كان هدف الدراسة يتجه نحو الكشف عن بيانات تفصيلية حول حياة الأشخاص وسلوكياتهم وخبراتهم وتصوراتهم وبما يعمق الحصول على تحليل متكامل للتاريخ الاجتماعي للجماعة النوبية منذ بداية هجرتها إلى السويس، وما أرتبط بذلك من تغير في بعض خصائص الهوية وكذلك العادات والتقاليد. لذا تم تصميم دليل المقابلة، وذلك لأن المقابلة سوف تمكننا من الحصول على بيانات تفصيلية عن الذاكرة الجمعية لنوبيي السويس، وما يتعلق بها من تصورات للتاريخ المشترك والحنين إلى المكان وكذلك خصائص الهوية النوبية كما تجلى في المجتمع المحلي بالسويس.

**ب-دليل الملاحظة:** تم الاستعانة بدليل الملاحظة لتدعيم المعطيات الميدانية التي تم جمعها بواسطة دليل المقابلة المتعمقة، وإضافة حقائق جديدة حول موضوع البحث قد تكون أُغفِلت من قبل هذا الدليل.

**٥- أسلوب تحليل البيانات ومعالجتها:** اعتمدت هذه الدراسة على التحليل الكيفي وذلك وفقًا لنوعية البيانات التي جمعها الباحثان، وهى بيانات ومعطيات كيفية تعمل على إتاحة الفرصة لحالات الدراسة كي يسهموا بفاعلية وتلقائية في تشكيل نتائج الدراسة، حيث تتوقف مهمة الباحثان على التحليل والتنظير واستخلاص النتائج، واعتمدت تلك العملية على إجراءين أساسيين هما:

**١-تحليل المحتوى أو المضمون والذي اتخذ مساران أساسيان:**

**أ-التحلي الرأسي:** حيث السماح لكل حالة مفردة في الجيل الواحد بأن تعبر عن ذاتها بشكل يستوفي كل متغيرات الدراسة وتفصيلاتها وتساؤلاتها.

**ب- التحليل الأفقي:** عمل الباحثان على محاولة الوصول إلى نظرة عامة وكلية لكل حالات الدراسة، حيث يظهر الاتفاق أو الاختلاف بين كل حالات الدراسة وبالتحديد بين الأجيال الثلاثة للدراسة، وقد اتجه الباحثان في التحليل الأفقي إلى فهم التباينات والتماثلات في المواقف والمعاني المشتركة والسلوكيات الاجتماعية، وبما أتاح الفرصة لبناء نتائج عامة وشاملة، وبما يعبر عن تأثير التحولات الاجتماعية لتغير مواقف الأجيال، وفي نفس الوقت الوصول إلى رؤى واستخلاصات عامة لاتتحدد بمواقف فردية أو أحادية.

**٢- التحليل في ضوء المعطيات النظرية للدراسة:** إن العلاقة بين الهوية والاعتراف لا تناقش من خلال الأبعاد النظرية فقط، تلك الأبعاد التي كانت تتكون من مؤشرات نظرية تنسج خيوط الدراسة وتقويها، ولكن أيضاً من خلال فهم الأبعاد النظرية والمؤشرات عبر المستوى الميداني لتكوين وحدات لجمع وتحليل البيانات وفهم علاقاتها ببعضها البعض، وكان التاريخ الاجتماعي في قلب الرؤية النظرية للدراسة، فبدون التاريخ الاجتماعي لم يكن ممكنًا فهم التحولات التي مرت بها الجماعة النوبية بالسويس، وكذلك لم يكن ممكنًا تدقيق الاتجاهات والرؤى النظرية وفهم علاقاتها بحالات الدراسة.

## خامسًا: مناقشة معطيات الدراسة الميدانية

**١- الهوية الإثنية: أ- اللغة:** تُكَوِن اللغة بعدًا مهمًا من أبعاد الهوية، فباللغة تعرف هوية الإنسان، حتى أن اللهجات الفرعية تمارس هي الأخرى دورًا في عمليات تصنيف الهوية وربطها مكانيًا وإثنيًا، فتفخر الجماعة النوبية بلغتها وتعتبرها جزءًا من هويتها التي تحرص على نقلها والحفاظ عليها، إلا أن العديد من التحولات والأحداث التاريخية والسياسية أسهمت بشكل واضح في نزع اللغة

عن الهوية النوبية– وليس بسبب ذاتي أصاب اللغة النوبية بضعف أو أسهم في تراجع أهميتها– وتكشف المقابلات الميدانية عن معاني متعددة تجمع بين الفخر والحسرة، حيث الفخر بتلك اللغة النوبية التي تميز هويتهم، في نفس الوقت يعبرون فيه عن الأسى جراء ضياع الكثير من ملامح تلك اللغة، حيث وفاة أعداد كبيرة من الجيل الأول من ذوي اللسان النوبي السليم، في ظل عدم تمكن الكثير من الجيلين الثاني والثالث من التحدث باللغة النوبية أو استخدامها في الحياة اليومية، علاوة على عدم قدرتهم على نقلها لأبنائهم، وتظهر معاني الفخر باللغة النوبية عند الجيل الأول كما يرويها صاحب الحالة الأولى «أنا في اللغة النوبية محدش يضارعني». ويمثل صاحب تلك الحالة نموذجًا للجيل الأول الذي قدم إلى السويس قبل التهجير الجبري لبناء السد العالي، وبالرغم من محاولاته للاندماج في النظام التعليمي القائم على تدريس اللغة العربية إلا أنه لم يتخلى عن اللغة النوبية كما يقول «أنا لما جيت من النوبة كنت بتكلم عربي مكسر، أنا أتعلمت اللغة العربية هنا، لكن أنا متمسك باللغة النوبية بكل حذافيرها» إلا أنه في نفس الوقت لم ينجح صاحب الحالة الأولى في تعليم أبنائه للغة النوبية، حيث يؤكد صاحب تلك الحالة «أنا الأولاد عندي في البيت ميعرفوش نوبي وهما زعلانين مني دايمًا بيقولولي أنت معلمتناش نتكلم نوبي». ويعرض صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول الأسباب التي يمكن أن تكون قد ساهمت في ضعف اللغة النوبية وتراجع عمليات نقلها والحفاظ عليها «اللغة النوبية جنى عليها السد العالي» وتأتي هذه العبارة في إشارة واضحة إلى أن الهجرة الجبرية –والتي تلت الهجرات الطوعية التي تمت خلال المائة عام الماضية– هي التي أدت إلى تهديد وضعف اللغة النوبية. فزوال المكان واختفاء ملامحه لم يكن تجاوز للجغرافيا أو التضاريس، بل إن تاريخًا كاملًا قد تمت إزالته بشكل لايمكن تعويضه في مكان آخر.

ومن الواضح –كما بينت الدراسة الميدانية– أن النوبيين في محافظة السويس اندمجوا لُغويًا في المجتمع المصري، حتى أن الكثيرين منهم خاصة

أجيال الوسط والشباب لم يعودوا يستخدمون اللغة النوبية في حياتهم اليومية، حيث تشير الحالة الأولى من الجيل الأول إلى أن النوبيين بالسويس كانوا مهتمين بشكل كبير بتعليم اللغة العربية لأبنائهم، ومن ثم تم إنشاء أول مدرسة ليلية في السويس لتعليم اللغة العربية ومحو أمية الكبار عام ١٩٢٢ وهو ذات التاريخ الذي تم فيه إنشاء جمعية الاتحاد النوبية في السويس، حيث كان تعليم اللغة العربية هو أول نشاط تقوم به تلك الجمعية، وهو الأمر الذي يشرح بشكل واضح اندماج النوبيين –الكنوز– من الرعيل الأول في تجربة التحديث ومحاولات إلحاق أبنائهم بالسلك الرسمي للفرص والوظائف الرسمية، علاوة على الانخراط في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه، ولاشك أن تجربة التحديث كانت عاملاً مهمًا في الاندماج اللغوي. وتقدم الحالة الثانية من الجيل الأول رؤية مختلفة تفسر المشكلات التي أحاطت بتطور وانتشار اللغة النوبية، حيث يعتبر التحديث ومحاولات نوبيي السويس من الكنوز للاندماج في المجتمع الجديد سعيًا وراء التفوق الدراسي ومن ثم الحصول على فرصة عمل جديدة، الأمر الذي استدعى جهدًا مقصودًا لإدماج أبنائهم في المجتمع الجديد ولغته على حساب اللغة النوبية (الماتوكية) وكما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «الوالد والوالدة مكانوش بيتكلموا جمبنا نوبي علشان العيل يتعلم في المدرسة، لأنه كان عندهم فكر إني العيل مش حيعرف ينطق عربي، هما ضحوا باللغة علشان تعليمنا إحنا». وبالرغم من ارتباط الهوية النوبية بالمكان (النوبة القديمة) إلا أن زوالهما لا يعني اندثار الهوية النوبية، فمازال كل من اللغة والمكان يمارسان أثرًا ملموسًا في نفوس النوبيين بالسويس.

وتكشف لحظات مهمة من التاريخ الاجتماعي المصري عن معاني عديدة تحيط بمكانة اللغة وأهميتها وانتشارها بين النوبيين، فمع نكسة يونيو ١٩٦٧ والهجرة الاضطرارية لأغلب مواطني السويس فقد اتجهت بعض تيارات الهجرة النوبية إلى القاهرة والوجه البحري، فيما اتجه البعض الآخر إلى النوبة الجديدة في محافظة أسوان. وتكشف المقابلات الميدانية المتعمقة أن تلك الفترة

من السنوات الست من ١٩٦٧– حتى ١٩٧٣ كانت من أخصب الفترات في عملية إحياء اللغة النوبية منذ التهجير الكبير في ١٩٦٤، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «إحنا في ١٩٦٧ هاجرنا القاهرة لكن اللي هاجر البلد (النوبة الجديدة في أسوان) عنده الطلاقة اللغوية في اللغة النوبية».

ويبدو من المقابلات التي أجراها الباحثان أن اللغة عند الجماعات الاثنية يتم الحفاظ عليها وإعادة إنتاجها بدون النظر إلى محاولة جعلها مفهومة عند الآخرين، فالغموض وعدم الفهم لبعض معاني ومضامين اللغة من الأمور التي ميزت اللغة النوبية عند الكنوز لفترة طويلة، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بمحاولة خلق أطر مشتركة للحوار والفهم المتبادل داخل الجماعة النوبية، حتى أن اللغة النوبية ظلت حتى وقت قريب ذات طابع شفهي، هذا علاوة على أن النوبيين أنفسهم لم يحرصوا على تعليمها لغيرهم حيث كان الاهتمام الأساسي هو الحفاظ عليها بين أبناء جلدتهم.

ولا تزال قضية تعلم اللغة النوبية والحرص عليها من المسائل التي تستثير الجماعة النوبية وتحفزها على بذل مزيد من الجهد الجمعي للحفاظ عليها، وبالرغم من ذلك فإن ثمة إدراكًا بالمصاعب التي يواجهها نوبيي السويس في تعلم اللغة النوبية خاصه عند الأجيال التي ولدت ونشأت في السويس، فأغلب حالات الدراسة تصرح بعجزها عن الحفاظ على بعض مكونات اللغة النوبية، فمنهم من يفهم اللغة النوبية ولكن لا يستطيع التحدث بها، ومنهم من لا يفهم اللغة النوبية ولا يستطيع التحدث بها. وعبر عن ذلك صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني بقوله «أمي وأبويا اللغة الأساسية كانت عندهم اللغة النوبية كانوا بيتكلموا العربي مكسر أنا أفهم نوبي لكن معرفش أتكلم». وتقرر حالات الجيل الثاني أن ثمة مستقبلًا مجهولًا ينتظر اللغة النوبية، فالجيل الأول في طريقة إلى الاندثار، ومن ثم فإن احتمالات اندثار اللغة معه تكون كبيرة، ويضاف إلى ذلك التراخي في استعمال اللغة النوبية في المناسبات الاجتماعية النوبية، حيث يقول صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «الجيل اللي طالع

جديد من المطربين بدأ يستسهلوا الأغاني حتى الفن أتخلي عن اللغة النوبية».

ومن الأمور والقضايا التي تؤرق الجماعة النوبية بالسويس هو غياب الترابط والدعم اللغوي داخل الجماعة النوبية ذاتها، فالجماعة النوبية تنقسم إلى ثلاث اثنيات فرعية الكنوز، والعرب، والفاديجا. فالكنوز يتحدثون اللغة الماتوكية وهى غير ذات اللغة التي يتحدث بها الفاديجا، ويسترعي ذلك التباين اهتمام العديد من نوبيي السويس الذين يُقدّرون أن الفاديجا هم أكثر اهتمامًا وحفاظًا على اللغة النوبية، ويعود ذلك في جزء منه إلى الاتصال الثقافي مع نوبيي السودان الفاديجا. وكما قرر صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني بقوله «الفاديج أحسن مننا في اللغة، هو عنده مصدر شغال اللي هو السودان». وتشرح حالات الجيل الثالث من نوبيي السويس نموذجًا واضحًا لاندثار اللغة، وفي نفس الوقت الرغبة الشديدة في استعادتها والحفاظ عليها، ومن ثم فإنه بالرغم من عدم قدرة الجيل الثالث على استعمال اللغة النوبية، إلا أنهم يعملون معًا على تطوير بعض المفردات والمصطلحات النوبية والتي قد لا تطابق معاني نوبية صحيحة، إلا أنهم يستخدمونها بديلًا عن عجزهم عن استخدام اللغة النوبية، وفي نفس الوقت دليلًا على تميزهم عن المجتمع المحلي ورغبتهم في أن يتواصلوا معًا بحرية دون أن يضطلع المجتمع المحلي على أفكارهم ومطالبهم كي يتجنبوا النقد والاستبعاد الاجتماعي. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٩)«كشباب مولودين في السويس مولودين خارج النوبة مبنعرفش نتكلم نوبي ممكن نفهم كلام بينا نتواصل بيه مع بعض بلغتنا».

**ب- التضامن والرؤى الجمعية المشتركة**

يمثل سعي نوبيي السويس للاندماج في المجتمع المحلي ترجمة لصور ومستويات التضامن مع غير النوبيين أيا كانت انتماءاتهم، وهو الأمر الذي ينفي -كما لاحظ الباحثان- انغلاق الجماعة النوبية على ذاتها. ويلعب التضامن الإثني داخل الجماعة النوبية في نفي أية تمايزات اجتماعية أو طبقية. أو كما قال صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول «الطبقات

الاجتماعية بتفرق الناس لكن عندنا العكس بتخلي الناس متماسكين لأني الناس بتوعوا بيصرفوا عليهم».

وعلى الرغم من أن نوبي السويس يمكن تصنيفهم ضمن المواقع الطبقية الوسطى كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الثاني «إحنا عندنا الوسط مفيش أغنياء خالص ولاتحت خالص مفيش ليه؟ عشان التكافل». ويلعب المكون الإثني والقرابي للجماعة النوبية في السويس دورًا مهمًا في علاج التناقضات الطبقية داخل الجماعة النوبية أو كما قال صاحب الحالة رقم (٣) من الجيل الثاني «الطبقة المتوسطة أخدت معاها المعدومة وسحبتها». ومن الأمور الحاكمة لاستقرار نوبيي السويس يأتي احترامهم للمرجعية الجمعية، فلا يمكن لأى نوبي أن يستقر بالسويس دون الارتباط بالجمعية النوبية وروابطها، أو كما قال صاحب الحالة رقم (١١) من الجيل الثاني «النوبي لما يجي السويس بيندمج في الأسرة النوبية».

ومن صور التضامن الجمعي كان الاتفاق غير المعلن بينهم على الربط بين مناسباتهم الاجتماعية والحضور والتجمع داخل بعض الأطر التنظيمية والروحية، حيث تحضر الطريقة الميرغنية في كافة المناسبات الاجتماعية التي تخص نوبي السويس، حيث يقول صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «كتب الكتاب يبقى في الزاوية (الساحة الميرغنية) لو ساكن في أي حته مش حتعمل كتب كتاب في الجامع اللي جنبك لاهو الساحة بتاعتنا أفراحنا أماكنها ثابتة على مر الأجيال».

وتظهر عمليات المقارنة بين صور التضامن المختلفة التي تحدث داخل الجماعات الأخرى المكونة للنسيج الاجتماعي بالسويس، فالوعي بالتضامن الجمعي داخل الجماعة النوبية يزداد حضورًا ووضوحًا عند حالات الدراسة، حيث نصل إلى نتيجة مفادها أن التضامن داخل الجماعة النوبية هو الأكثر كثافة وامتدادًا، بحيث لا يكون مجرد وظيفة طارئة لكنه عملية بنائية مستقرة بخلاف الجماعات الأخرى التي تفقد الاتصال بين عناصرها وأجيالها. أو كما

قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني «الجمعيات اللي هنا جمعياتنا وجمعيات بتوع الأقصر وسوهاج متروحش جمعية تلاقيها مفتوحة وفيها ناس غير جمعيتنا، الجمعيات دي مبتفتحش غير يوم العزا وبس الجمعيات دي مش قايمه بالمجتمع بتاعها». ويفخر نوبي السويس بأن ليس من بينهم من يمارس أعمالًا منافية للآداب العامة، أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٤) من الجيل الثاني «مشفتش واحد نوبي متسول».

ويبادر نوبيي السويس بالحضور والتجمع في كل مناسبة من دون أن تكون هناك دعوة موجهة لهم، وهو الأمر الذي يدل على التضامن بين وحدات وأبنية الجماعة النوبية، ذلك التضامن الذي لا يحتاج إلى أدوات كثيفة للتعبئة. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٧) من الجيل الثاني «صاحب الفرح مش محتاج يلف على الناس بس هي دعوة عامة على وسائل التواصل وبالليل تلاقي الناس اللي حاضره أمم». ويعمل شباب الجيل الثالث على إعادة إنتاج المشترك القروي أو القرابي ودورهما في زيادة كثافة التضامن بين أبناء الجماعة النوبية بالسويس، حيث امتداد شبكات العلاقات مع أقرانهم النوبيين بالسويس يعتمد على زيادة التقارب معهم من حيث البحث عن نوبيين آخرين من قرى محددة، أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٣) «إحنا كنوبيين مولودين خارج النوبة إحنا اللي بيربطنا أسامي القرى».

ويقدم أبناء الجيل الثالث معاني وعبارات للتضامن الجمعي تختلف عن تلك التي يقدمها أبناء الجيلين الأول والثاني، فالتضامن عند أبناء الجيل الثالث لا يشرط أن يكون ذلك وسيلة للاندماج في المجتمع المحلي، بل يتم بعيدًا عن المجتمع المحلي. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٠) «وصلنا لمرحلة إني إحنا عاوزين نصلي العيد لوحدنا». ويمثل البحث عن الهوية شغلًا شاغلًا للجيل الثالث فلا يبدوا أن ما تبقى من الهوية النوبية يرضيهم. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٢)«بس إحنا نتمنى يكون لينا هوية خاصة بينا لينا كلامنا وعاداتنا وتقاليدنا».

ويستشهد العديد من أبناء النوبة الذين تمت مقابلتهم في الدراسة الميدانية بالأخلاق والسمات الحميدة التي يتمتع بها أجدادهم وآبائهم، تلك الأخلاق التي مثلت رأسمال للجماعة النوبية التي وفدت إلى السويس بداية من مطلع القرن العشرين، كما أنها تحمل تراثا طويلًا من الثقة المتوارثة في المجتمع المحلي الذي هاجروا إليه وهذا ما أوضحه صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «النوبي لما هاجر مفيش في أيده غير حاجتين هما الأمانة والنظافة، هما صفتين مقدرش ينسلخ منهم هما رأسماله». وتشرح تلك المقولة عملية القبول الواسع للحضور النوبي في السويس، حيث توارث النوبيون تلك الصفات والأخلاق الحميدة في ظل افتقارهم لأية موارد مادية أو مهنية متخصصة. وكما توصلنا من المقابلات المتعمقة فإن من بين النقاط الأساسية التي شكلت معاني الاعتزاز والثناء على ماضي النوبة كانت الأخلاق في النوبة القديمة حيث مثلت مرجعية أساسية، بل وإن تلك الأخلاق التي كانت سائدة هناك مازال يعاد إنتاجها وتوزيعها داخل الأسرة النوبية بالسويس، حيث تظهر في صور وروابط متعددة على هيئة ممارسات حية تستلهم من الماضي سلوكيات حاضرة.

وبشكل عام كشفت المقابلات المتعمقة لحالات الدراسة أن الجماعة النوبية تحمل الطابع المسالم في سلوكياتهم الاجتماعية، بل وإن العديد من نوبيي السويس تعتبر أن الطابع السلمي للنوبيين هو ما يميزهم بل ويميز هوية النوبي بشكل خاص. وكما يذكر صاحب تلك الحالة «النوبيين بطبعهم مسالمين معندهمش حتة الفتونة وبالتالي بيتعايشوا مع جيرانهم». ومن بين الأحداث التي تشير إلى ذلك الطابع السلمي باتت القيم المتوارثة عن النوبيين. وكما قال صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول «النوبيين زمان اشتغلوا خدم عند البشوات والناس الكبار وكانوا بيآمنوهم في بيوتهم». هذا إضافة إلى الثقة التي يتمتع بها نوبيي السويس في محيط مجتمعهم المحلي، حيث يعرف عنهم انتهاجهم الطابع السلمي في علاقتهم بالآخرين وكما يذكر صاحب الحالة رقم

(٥) من الجيل الثاني «صاحب العمارة قالي لو لقيت تلاته أربعه نوبيين هاتهم يسكنوا في العمارة». وتُستخدم التنشئة الاجتماعية لإعادة إنتاج الأخلاق والقيم والموروثات النوبية، ومن الممارسات الأخلاقية التي يعتز بها نوبيي السويس، تأتي مجموعة من السلوكيات التي يحرصون على استمرارها، ويؤكد صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول تلك السلوكيات بقوله «قيم الجار دا مقدس لا تؤذيه، كل الأجيال بتاعتنا متمسكين بيه».

ويبدو من المقابلات المتعمقة أن المشكلات الاجتماعية التي تواجه الجماعة النوبية في السويس لا تصل إلى درجة انتهاك القانون أو التعرض لعقوبات قانونية أو رسمية، حيث أن مخالفة المعايير الاجتماعية التي تنتهجها وتتوارثها الجماعة النوبية تتم مواجهتها بحزم داخل الجماعة النوبية، ويؤكد ذلك صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول«أغلب مشاكل النوبيين مشاكل اجتماعية واحد مجوز مقصر في المصاريف، النوبيين معنديهمش مشاكل خيانة لأني دا ممنوع، إحنا معندناش حد يعمل الكلام دا، إحنا مبيوصلوش السجن». وتظهر الطريقة الميرغنية باعتبارها مكونًا مهمًا من مكونات التاريخ النوبي، حيث الحضور المكثف لها في النوبة القديمة فمن المقابلات الميدانية ثبت ملازمة أبناء الطريقة وممارساتهم في كل ما يرتبط بالحياة في المجتمع النوبي، وانتقل ذلك الاهتمام مع الهجرات النوبية المختلفة سواء الطوعية منها أو الجبرية.

وكشفت الدراسة الميدانية للباحِثَين عن أن الجيل الأول من المهاجرين النوبيين هو الجيل الأكثر ارتباطًا بالطريقة الميرغنية، وبالرغم من عدم ارتباط الأجيال الأحدث بتلك الطريقة من حيث الامتثال والعضوية فيها، إلا أنه يظل ثمة قبول واضح لحضور وتواجد تلك الطريقة في كافة المناسبات والمناشط اليومية والدورية في المجتمع النوبي في السويس. وتكشف المقابلات الميدانية مع حالات الجيل الثاني الارتباط العضوي للجيل الأول بالطريقة الميرغنية أو كما قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني «أنا عندي الوالد لازم ياجي

الزاوية المرغنية، تلاقي يوم الجمعة معظم النوبيين بيصلوا في الزاوية الميرغنية». ويقوم النادي الرياضي بمجهود واضح– ليس فقط في ممارسة الأنشطة الرياضية– حيث يستخدم النادي العديد من الروابط التي تعمل على تقوية أواصر العلاقات بين نوبيي السويس –خاصه أجيال الشباب والأطفال– على سبيل المثال ما تقوم به جماعة الكشافة، كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «إحنا في الكشافة بنجيب العيال الصغيرة علشان يعرفوا بعض عشان إحنا المناطق بعيدة في السكن».

ويتمتع كبار السن بمكانة كبيرة حيث يتم الرجوع إليهم في جميع من مناحي الحياة وقضاياها، ودائمًا ماتؤكد حالات الدراسة على دور كبار السن في التدعيم الأخلاقي والقيمي للجماعة النوبية، ويتفق ذلك مع ما طرحه صاحب الحالة رقم (١٦) من الجيل الثاني بقوله «إحنا منفصلناش عن الناس الكبار الكبير أيا كان يقول الكلمة تحترمها». وتمتد قيم التراحم الاجتماعي إلى مستوى أبعد من روابط الدم والقرابة بل تتدخل الروابط التنظيمية في إعادة إنتاج تلك القيم التي كانت سائدة وقائمة في المجتمع النوبي بأسوان وهذا ما أكده صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني «لجنة المرأة عاملة حاجة قوية جدًا أنهم كل فترة بيروحوا يزوروا الستات الكبار اللي مبيتحركوش في بيوتهم في المناسبات والأعياد».

**ج– التاريخ والعادات والتقاليد المشتركة**

تنقسم الجماعة النوبية إلى ثلاث جماعات فرعية (الفاديجا – العرب – الكنوز)، ويعكس ذلك الانقسام مكونات البيئة الجغرافية والاجتماعية، فمن قديم الأزل كانت النوبة القديمة مقسمة على الجماعات الثلاث من الشمال إلى الجنوب، ففي أقصى الشمال تقع القرى الكنزية، يليها قرى العرب، وفي أقصى الجنوب توجد قرى الفاديجا، فبالرغم من أن حضورهم في المجال العام يحمل اللافتة النوبية إلى أنهم في الحقيقة يعترفون بما بينهم من انقسامات إثنية وثقافية.

وقد كشفت المقابلات الميدانية عن الوعي الواضح للتباين المكاني بين الكنوز والفاديجا، فعندما يفسر النوبيون الكنوز الحضور المميز للنوبيين الفاديج يعودون في التفسير إلى الجذور، حيث النوبة القديمة وكيف أن التعليم الرسمي بدأ فيها مبكرًا في مناطق الفاديج مقارنة بالكنوز، وذلك عندما أنشأت مدرسة الدر –التابعة حاليًا لمركز نصر النوبة– في مناطق الفاديج في الوقت المبكر من القرن العشرين. وكما قال صاحب الحالة رقم (12) من الجيل الثاني «لما دخل التعليم أول قرى دخل فيها التعليم الفاديج». وكان واضحًا أن تلك الفوارق المكانية قد أنتجت على المدى الطويل سلوكيات وكيانات اجتماعية ودينية مختلفة، ففي حين ينشط الفاديج في التعليم الرسمي والمجال العام، كانت جماعة الكنوز تنشط في مجالات التعليم غير الرسمي وتمدد الطرق الصوفية تعويضًا لهم عن صور النقص في البيئة الاجتماعية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (15) من الجيل الثاني «عشان كدة هتلاقي الطرق الصوفية عندنا أعلى في الكنوز، أما الفاديج في السياسة أكثر».

ويفصل شباب الجيل الثالث بين ذلك الانتماء والهوية النوبية والطرق الصوفية، فليست الطرق الصوفية في نظرهم ذات معنى أو قيمة تذكر. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٠) «إحنا كشباب مش منتمين للطرق الصوفية، هو اعتقاد مليهوش دعوة بالهوية النوبية». وتوضح تلك العبارة بشكل قاطع تأثير المخزون السلفي في وصم الانتماء للطرق الصوفية فعلى الرغم من أن شباب الجيل الثالث ليست مرتبطًا تنظيميًا بالفكر السلفي إلا أنهم يحملون العديد من القناعات السلفية التي ترسم نمط تدينهم. ويتميز نوبيي السويس (الكنوز) بسمات تجعل لهم تاريخيًا مختلفًا عن المكونات الإثنية للجماعة النوبية، حيث إن بداية هجرات النوبيين إلى السويس تعود في تقدير البعض منهم إلى ما قبل إنشاء خزان أسوان بتعلياته المختلفة في أعوام من (١٩٠٢–١٩١٢–١٩٣٣) والتي كانت بنيتها تعتمد على الهجرة الذكورية. كما يروي لنا صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول فإنه لا يتذكر متى هاجر والده للعمل بالسويس، حيث

أن والده توفى عام ١٩٤٠ في السويس عندما كان عمره خمس سنوات. وتؤكد تلك الرواية أن الهجرة المؤقتة من المناطق النوبية الكنزية كانت أولى الهجرات النوبية للعمل خارج النوبة القديمة، والتي لم تتبلور للإقامة الدائمة إلا في مراحل تالية كان آخرها عام ١٩٦٤ عندما اختفت النوبة القديمة تمامًا ببناء السد العالي، ويشرح صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «أن المية في الصيف بتفيض فالأرض تتغطى بالمية فالرجالة مليهمش شغل هناك فيجوا على مصر أو السويس لأي شغلة مؤقتة لغاية مالمية تنزل علشان الأرض تظهر». فطبيعة الأرض والثروة في المناطق النوبية الكنزية قبل بناء السد العالي كانت تضطر الرجال إلى البحث عن مصدر للحياة الكريمة خارج النوبة، كما أكد صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول بقوله «أن الرجالة مشوا علشان أكل العيش» وتوضح حالات الدراسة أن الهجرة الطوعية للعمل أو لَمْ شمل الأسرة للنوبيين الكنوز لم يكن في مراحله الأولى وقبل بناء السد العالي بغرض الإقامة الدائمة في السويس. وكما قال صاحب الحالة رقم (6) من الجيل الثاني «النوبيين بعد ١٩٧٣ بدأوا يشتروا ويتملكوا شقق».

واختار النوبيون (الكنوز) الذين هاجروا في مراحل مبكرة إلى السويس ألا يهاجروا إلى المناطق والأقاليم الأقرب جغرافيًا في محافظات جنوب الصعيد وقد يرجع ذلك إلى ليس فقط توفر مصادر الرزق والعمل في السويس ولكن يمكن أن تكون طبيعة التركيبة الاجتماعية لمجتمعات جنوب الصعيد التي تتسم بالصفة العائلية؛ مغايرة لطبيعة التركيب الاجتماعي لطبيعة النوبة القديمة، وهو الأمر الذي قد يكون مقاوم لتواجد النوبيون بها، وبذلك لا يسمح للنوبي المهاجر بالعمل والحياة بحرية. واتخذ طابع الهجرة من السويس خصائص مميزة، فالسويس هي مهجر النوبيين الكنوز الذين قدموا من قرى محددة. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٤) من الجيل الثاني«الناس اللي هاجرت للسويس من قريتين هما أبوهور ومرواو والقريتين دول متجاورتين». وتشير هذه العبارة إلى أن البنية القرابية في السويس ذات طابع قرابي وقروي محدد، حيث تعمد

الشبكات الاجتماعية لتلك العلاقات القرابية والقروية على إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية لنوبيي السويس، وخاصة قريتي أبوهور ومرواو اللتان تشكلان السواد الأعظم لنوبيي السويس.

ولم يترك نوبيي السويس مدن القناة إلا اضطرارًا مع نكسة يونيو ١٩٦٧ وهو الأمر الذي يشرحه صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول بقوله «في ١٩٦٧ كان تهجير إجباري. ويميل أحد المتحدثين من حالات الدراسة إلى استخدام الصيغ الجمعية، وكذلك تفسير الأحداث والمواقف التاريخية التي مرت بها الجماعة النوبية وكأنهم شهود على تلك الأحداث حتى تتصور أنهم عايشوها وشاركوا فيها فعلى سبيل المثال تذهب صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني حيث تؤكد بقولها «النوبة القديمة أنا مشفتهاش بصراحة والنوبة الجديدة سمعت من والدتي أنهم كانوا رافضين المكان دا والدليل على كدة أنهم هاجروا من هناك». وتدل بعض المقابلات مع حالات الدراسة على أن قرار الهجرة الأسرية الكاملة والاستقرار بالسويس مر بعدة مراحل، وأن ثمة بعض الأسر قد اضطرت إلى الاستقرار الكامل بالسويس، في حين أغلب الأسر النوبية المقيمة بالسويس قد اتخذت قرار الهجرة في وقت لاحق في أواخر الستينيات، وفي جميع الحالات كان لا بد من وجود شبكات قرابية وأسرية تكون جاهزة لاستقبال المهاجرين، وفي هذا الاطار تقدم لنا الحالة رقم (١٣) من الجيل الثاني توضيحًا لتلك المسألة بقولها «الأسرة جات السويس في الخمسينيات قبل السد العالي وقرار الهجرة للسويس كان قبل السد العالي». وتمثل تلك الحالة نموذجًا للتدرج في اتخاذ قرار الهجرة الأسرية الكاملة، فوالد تلك السيدة يعمل بالسويس منذ منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين. ويعتز أبناء الجيل الثالث بكل من هويتهم الإثنية والوطنية معًا، بل ويتمسكون بأصالتهم التاريخية والحضارية وأنهم يمتلكون ميراثًا حضاريًا فريدًا في تاريخ مصر، أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٣)«أنا مصري أكثر منك، النوبيين إحنا أصل البلد».

ويحتل الخال في التراث النوبي دورًا مركزيًا في بنية القرابة والمكانة الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع النوبي، وانتقل ذلك الدور مع نوبيي السويس بل وحافظوا عليه، وكثيرًا ما يتردد لقب الخال في أغلب العلاقات والتفاعلات اليومية ويقدم نوبيي السويس تفسيرًا لهذا الذي يتمتع به الخال. كما تقول الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «من ١٠٠ سنة كانت الهجرة ذكورية والأمهات هي اللي قايمه بكل حاجة وهي اللي بتغرس فيهم دور الخال».

وبالرغم من ارتباط الجماعة النوبية بالعادات والتقاليد الحاكمة لممارساتهم الاجتماعية، إلا أنهم لم يكونوا قادرين على إعادتها –تمامًا– كما كان الحال في النوبة القديمة ولكنها المحاكاة ومحاولة التقليد بما يناسب ظروف المجتمع الجديد. كما قال صاحب الحالة رقم (٩) من الجيل الثاني «الفلكلور مازلنا محافظين عليه لكن بصورة مختلفة شويه زمان كان العيل أول ما يتولد لازم التعويم في النيل لكن هنا في السويس مثلا هتلاقي عاملين سبوع وجايبين شوية مية وسبع حبايات تتحط في يد العيل ولكن بشكل متحضر». ومن العادات والتقاليد التي لا يزال نوبي السويس يحتفظون بها ويحرصون على ممارستها تأتي عادة تغطيس المولود في النيل، فالنيل هو المكان المقدس عند النوبيين، وتجد اجلالًا وتقديرًا بين حالات الدراسة رغم ابتعادهم عنه، ولا زالت الأسرة النوبية بالسويس تقوم بإلقاء أرز بلبن في مياه قناة السويس بديلًا عن إلقاء أرز بلبن في مياه النيل. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٨) من الجيل الثاني «في سبوع المولود كان اعتقادهم في النيل حاجة كبيرة كان يوم سابع المولود لازم تغرق وشه بمية النيل وكان لازم يرمي رز بلبن في النيل هنا في السويس النيل اتقلب للبحر».

ويمثل الحرص على الزواج الداخلي، محددًا مألوفًا في التاريخ الاجتماعي للجماعات الإثنية، حيث تحرص تلك الجماعة على الحفاظ على هويتها التي تتجسد في عاداتها وتقاليدها المشتركة، والتي قد تتعرض في نظرهم للاندثار في حال دخول عناصر عرقية أو قرابية مختلفة. ولعل تلك الجماعة

النوبية بتكويناتها الإثنية الفرعية خير شاهد على الحرص لتلك العملية. فبالرغم من حدوث تغيرات واضحة في نمط الزواج إلا أن ثمة محاولات جادة للحرص على الاستمرار في نمط الزواج التقليدي، ولا نعدم في تلك المسألة من وجود حالات من الأسر النوبية المقيمة في السويس التي عملت على تزويج أبنائها وبناتها من غير النوبيين، فصاحب الحالة الأولى من الجيل الأول رغم أنه متزوج من نوبية (تنتمي إلى جماعة الفاديجا) إلا أنه لم يعارض زواج ابنتيه من غير نوبيين، أو كما برر ذلك بقوله «طالما الشخص كويس خلاص». ويعكس ذلك النص تحولًا في أبرز العادات والتقاليد المميزة للتقاليد النوبية، ولعل تجربتي التحديث والتعليم قد أسهمتا في ظهور تلك النماذج إلا أنها لاتعد معيارًا فاصلًا في التخلص من العادات والتقاليد التي تملي نمطًا معينًا للزواج داخل الجماعة النوبية. فبالرغم من وجود حالات تعرضت لتأثيرات واسعة بسبب تجربة التحديث والتعليم إلا أنها استمرت في الحفاظ على الزواج من داخل الجماعة النوبية. ويعتبر قرار الزواج من القضايا والمسائل الحيوية داخل الجماعة النوبية، فقد ظل الجيل الأول من نوبيي السويس محافظون على الزواج من بني جلدتهم، بل كانوا أكثر تمسكًا بالزواج من داخل الجماعة القرابية أو الفرعية، ولكن مع الهجرة والاغتراب عن المجتمع النوبي في أسوان هبت الكثير من رياح التغيير، إلا أن تلك الرياح لم تغير بشكل كبير الميل إلى الزواج من داخل الجماعة النوبية.

ويختلف قرار الذكور–في الجماعة النوبية بالسويس– عند إقدامهم على الزواج عن الإناث، فقد لاحظ الباحثان في جميع المقابلات مع حالات الدراسة، ومن مختلف الأجيال أن الذكور المتزوجين كانت زوجاتهم نوبيات، بينما أختلف الوضع عند الإناث خاصة الجيل الحديث الجيل الثالث، حيث تزوج منهن من خارج الجماعة النوبية، في حين ظل الذكور محافظين على تقليد الزواج من نوبيات. وهو ما أكدته صاحبة الحالة الثالثة من الجيل الأول «كنت رافضة تمام إني أزوج بنتي لغير نوبي وكنت مستغربة ومستنكرة الموضوع،

أخذته على مضض». بينما كان واضحًا من المقابلات أن الذكور لم يكن لديهم نفس المساحة من الاختيار للزواج من خارج الجماعة النوبية، ولم يكن ذلك قهرًا يمارسه الآباء عليهم، ولكنه كان وعيًا سائدًا لديهم، بأن الاختيار المناسب لن يكون إلا من داخل الجماعة النوبية، فالذكر النوبي يحمل داخله قيم الجماعة وعاداتها، وتقاليدها، إضافة إلى أن علاقات النسب والمصاهرة والتي تمنح قوة اجتماعية للذكر، تجعل من الشاب النوبي يفضل الزواج من نوبية، لتضيف له قوة اجتماعية جديدة وذلك عوضًا عن الزواج من غير نوبية أو (جوربتية) كما يسمونها باللغة النوبية. حيث تؤكد صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني رفضها الشديد الزواج من غير نوبية، حيث تقول «أنا عندي النوبية أولى على الأقل أنا عارفاها وعارفة أصلها وعارفة بيتها ليه معلش أودي ابني عند فلاحة». وتدل تلك العبارة على الوعي بالتميز بين من هم داخل الجماعة النوبية ومنهم من خارجها.

وتثبت الدراسة الميدانية أن من بين العادات والتقاليد التراثية التي ميزت الجماعة الكنزية، كانت عملية حجب المرأة عن الظهور في المجال العام فلم يسمح لها الاختلاط بالرجال أثناء الاحتفالات، وهذا ما أكده صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول بقوله «حفلات الكنوز الرجالة في حته والستات في حته». حتى الاحتفالات الرئيسية في المجتمع النوبي الكنزي كانت تتم بشكل ذكوري بحت، وورد ذلك أن بعض حالات الجيل الأول التي وُلدت في النوبة القديمة والتي شهدت إبعاد النساء عن أهم احتفالات النوبة القديمة ألا وهو (المحمل)، فبالرغم من إقامة الرجال من القرى المجاورة في قرية محددة لمدة ثلاثة أيام للاحتفال، إلا أنه لم يرد أي ظهور للمرأة في تلك الاحتفالات بل كان يتم التأكيد على سترها وبقائها في المنزل. وكشفت المقابلات المتعمقة عن حضور النزعة الصوفية في المناسبات الاجتماعية التي اعتاد النوبيون عليها وتوارثوها، ويؤكد ذلك صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول وذلك من خلال حديثة عن الأفراح النوبية، حيث كان لازمًا أن تتضمن مراسم الاحتفال يومًا

مخصصًا للحضرة الصوفية الخاصة بالطريقة الميرغنية، وهذا ما أكده صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول بقوله «الأفراح بنفس العادات القديمة ثلاثة أيام أول يوم بيبقى حضرة السادة الميرغنية».

ولا زال الجيل الثالث من نوبي السويس محافظًا وملتزمًا بالعادات والتقاليد النوبية. فالزواج في نظرهم ليس مجرد ارتباط عاطفي أو اجتماعي، بل هو عامل من عوامل تقوية أو أضعاف الهوية، من هنا أختار الذكور من الجيل الثالث الزواج من نوبية كوسيلة لتعويض النقص في بعض مكونات الهوية، وزيادة قوة وتضامن الجماعة النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٩) «أنا بفضل الزواج من نوبية مش مهم بنت عمك بنت خالك بس المهم إني تكون نوبية حتي لو فاديجية». ويبدو مدهشًا أنه بالرغم من اتساع مساحة الاختيار وحرية اتخاذ القرار وضعف قوى الإلزام الجمعي؛ إلا أن شباب الجيل الثالث يفضل الزواج من نوبية، ويمكن القول أن البحث القَلِق عن الهوية، يقود إلى التمسك ببعض العادات والتقاليد الاجتماعية ذات الطابع الجوهري والأساسي في بنية وتكوين الجماعة النوبية. ولازال نوبي السويس يحتفظون في ذاكراتهم الجمعية بالعديد من صور الحياة اليومية في النوبة القديمة، ومن بين تلك الصور تأتي المناسبات الاجتماعية ذات الصفحة الجمعية على رأس تلك الصور. ومن تلك الصور التي لا زالوا يحتفظون تأتي مناسبة المحمل لتضيء في عقول نوبيي السويس، وتلهمهم بضرورة إحياء تلك الصورة القديمة وحمايتها من الزوال. ويستعيض نوبيي السويس بقطار النوبة عن المحمل، فقطار النوبة ينطلق مرة واحدة في كل عام في عيد الاضحى، ويجمع النوبيون من مختلف محافظات الجمهورية، حيث يشهدوا تجمعهم في المجتمع النوبي بأسوان. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني«المحمل غيرناه في السويس في العيد الكبير بقطار النوبة». ويلعب المكان دورًا متميزًا في التاريخ والتحولات الاجتماعية، حيث هوية الناس وجذورهم ترتبط بالأمكنة، فالهوية تعتمد في كثير من مكوناتها على حدود المكان ومعانيه، ولعل الجماعة النوبية من أكثر

الجماعات المصرية التي تنازلت عن جزء كبير من مكونات هويتها عندما أجبرت على مغادرة موطنها الأصلي في جنوب مصر، أو كما قال صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول «النوبيون ضحوا من أجل مصر أكثر من مرة». وهذا ما أكدته صاحبة الحالة الأولى من الجيل الأول بقولها«إحنا ضحينا علشان السد العالي».

وتتباين آراء ومواقف النوبيين حول قضية العودة للنوبة القديمة، فصاحب الحالة الأولى من الجيل الأول يبدو أكثر واقعية وفهمًا لظروف الواقع الراهن، وأنه بالفعل يصعب استعادة النوبة القديمة أو كما قال «حلم العودة صعب جدًا أن ترجع لأني أولًا البحيرة واسعة حتضطر تركب مواصلات لكن زمان كانت المراكب شرق وغرب». ويبدو واضحًا أن صاحب تلك الحالة بات يتناول الهوية النوبية والانتماء لها حيثما وجد النوبيون وليس حيثما كانوا موجودون. فالقضية التي يطرحها صاحب تلك الحالة تشير إلى الانتماء للنوبة الجماعة أو البشر وليس فقط المكان. ومن الروايات المهمة التي ترسم صورًا واضحة لمعالم الحياة الاقتصادية في النوبة القديمة كانت تلك الحكايات عن موسم الصيف في النوبة القديمة. حيث أجبرت التعليات المختلفة لخزان أسوان أهالي النوبة القديمة إلى الصعود للإقامة بالمناطق المرتفعة وفي نفس الوقت اضطر الشباب والرجال إلى مغادرة القرية في فصل الصيف، ومن ثم العودة في فصل الشتاء أو موسم الزراعة، حيث كان ذلك هو موسم الأفراح والمناسبات الاجتماعية فيما قبل مرحلة بناء السد العالي، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «موسم الزراعة كان بيعملوا فيه الأفراح». وتشير تلك العبارة إلى تأثير طبيعة وظروف المكان على العادات والتقاليد والمناسبات الاجتماعية، بل ودورة الحياة الاجتماعية بالكامل. فالعمل والزواج والهجرة كلها أمور ترتبط بطبيعة المكان.

ولا زال نوبيي السويس يفخرون بالمسكن النوبي القديم، بل ودائمًا ما يقارنون بينه وبين المسكن الريفي في القرية المصرية، وبشكل عام فإنهم لا

يجدون نظيرًا للمسكن النوبي القديم ويعتبرونه رمزًا للحضارة العريقة. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «أنت لما بتروح حتة في الأرياف مش بتديك رمزية لكن البيت النوبي المدخل بتاع البيت والأدوات اللي بيستعملها والرسومات اللي على جدران الحائط كلها نابعة من حضارة وتراث». ويمتزج العمران النوبي بالسلوك الاجتماعي للنوبيين، ويشرح لنا نوبيي السويس طرفًا من ذلك الامتزاج من خلال حديثهم عن ذكريات الماضي، حيث النوبة القديمة موطن أجدادهم وآباءهم، كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني«تلاقي البيت الواحد بيبنيه عشرة واحد صاحب البيت وتسعه مساعدين وبالتالي بيتعاونوا واللي بيزين البيت البنات». ويتميز الفن العمراني النوبي الكنزي بأنه يعكس الظروف البيئية والاجتماعية للمجتمع النوبي، فالقباب في المسكن النوبي هي امتياز خاص بجماعة الكنوز. كما قال صاحب الحالة رقم (١٣) من الجيل الثاني «القباب دي موجوده في الكنوز ومش موجوده في الفاديكات لأن المناطق الكنزية لما غرق النخيل اللي بيسقفوا بيه البيت بدأوا يفكروا في وسيلة أخرى في البناء».

وكان التركيب الاجتماعي للمجتمع النوبي القديم يعتمد على الأسرة الممتدة، وكان نمط العمران الذي تعتمده تلك الأسرة يختلف عن النمط العمراني السائد في جنوب مصر، فلم تكن الأسرة الممتدة تقم في نفس المنزل بل كانت تتوزع على عدة منازل متلاصقة، وهو ما أكده صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني بقوله «أنت لما بتبني كان في حاجة عند الصعايدة مش عند النوبيين الصعايدة لما كان يجي يسكن يبني له أوضة في البيت الكبير لكن إحنا النوبيين ابنك تعزله». ويعالج ذلك النمط من العمران مسألة الخصوصية، الأمر الذي يحجب عن المجتمع النوبي المشكلات والخلافات الأسرية، في نفس الوقت الذي تزداد فيه قوة وتماسك البنية القرابية المتوافقة أسريًا، ولا ترتبط مسألة الخصوصية في مسألة السكن فقط بل أنها تنعكس على المسألة الاجتماعية برمتها، حيث يستقل كل رب أسرة بمسؤليته المادية والمعيشة عند

الأسرة الممتدة، كما أفادت صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني بقوله «أنا لوحدي باخد راحتي ودي اللي نجحت العلاقات ونجح نوبي السويس في نقل تلك الممارسات معهم إلى المجتمع المحلي بالسويس». ومن الأمور البارزة في المجتمع النوبي بالسويس تظهر عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها نظامًا يتشارك فيه النوبيون، بل إنه يبدو أنها عملية متفق عليها داخل الجماعة النوبية وبما يسهم في ترسيخ الهوية النوبية.

وكما قالت صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني «إحنا عندنا الأخلاق والتربية هما الأسلوب المتبع، وعندنا الطيبة والترابط إحنا بنمشي ورا عيالنا من البداية وبنوضح لهم ده صح وده غلط من البداية». وتشرح تلك العبارة عملية التطبيع الاجتماعي التي تحرص عليها الأسرة النوبية، بحيث لا تترك فرصة للأبناء كي ينسلخوا من هويتهم النوبية. أو كما قالت صاحبة تلك الحالة «عيالي عندهم انتماء نوبي ، يقولك دايما أنا نوبي، وبيحبوا عاداتنا». وتتميز التنشئة الاجتماعية عند نوبيي السويس بارتباطها بمعاني وقيم الهوية النوبية، حيث تسعى كل أسرة إلى تدريب أبناءها على أن التزامهم وانتهاجهم الخصال الحميدة وهذا يُعَد واجهة اجتماعية لكل النوبيين، فكل نوبي من شأنه أن يزود عن الجماعة من خلال سلوكياته وأخلاقه. وكما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «إحنا كنوبيين تفرق معانا عامل الناس بأخلاقك ومتعاملهمش بأخلاقهم». وتتجه عملية التنشئة الاجتماعية لنوبي السويس حول التجمع معًا بما يمنحهم نمطًا متشابها، وذلك بعكس المكونات الاجتماعية الأخرى المختلفة في السويس، وهذا ما أكده صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول بقوله «هتلاقي في الأفراح في عادات وتقاليد ثابتة كلنا بنمشي عليها لكن في المجتمعات اللي برا مش متحدين ومشتتين». فالواحدية المركزية من حيث التنظيم تتماشى مع نمط التنشئة الاجتماعية لنوبي السويس. ويعرف عن نوبي السويس أن أدواتهم التنظيمية تعود إلى تاريخ ١٩٢٢، وذلك لنشأة الجمعية النوبية والتي كانت ولا تزال القيادة المركزية لكافة الروابط النوبية في السويس،

ويتميز نوبي السويس بالتئامهم حول الجمعية النوبية عند أي مناسبة تدعو لها الجمعية أو تقيمها، وبشكل عام فإن الجمعية النوبية تدعوا إلى المناسبات التي تخص النوبيين وتزيد من حضورهم وتجمعهم وكما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «لو في فرح تلاقي كل النوبيين متجمعين، من ١٩٢٢ لغاية دلوقتي الجمعية بتاعتنا هي اللي بتجمع». ويحرص شباب الجيل الثالث على إبراز هويتهم الإثنية في كل مساحات المجال العام فهم يبادلون الآخرين بالتعبير عن هويتهم. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٩) «إني في كل مكان بأكد إني أنا نوبي».

**٢-الاعتراف: أ-التذكير وعرض المظالم الجمعية**

كافح الكثير من نوبيي السويس من أجل الحصول على التعويضات في النوبة الجديدة، ولاتزال شكواهم حاضرة إزاء المظالم التي يعرضون لها جراء التعويضات التي حصلوا عليها، كما يقول صاحب الحالة الأولى من الجيل الأول الذي اضطرت أسرته للعودة إلى النوبة الجديدة «سكنا عند خالتنا لحد مابنوا لينا بيوت المغتربين سكنا فيها وقعدنا لحد ماخلصت مشكلة ١٩٦٧ وآثارها، سنة ١٩٧٥ رجعنا السويس ووالدتي توفت في السويس». وتضيف أزمة التعويضات بعدًا جديدًا في المأساة النوبية فبالرغم من أن الكثير من نوبيي السويس لا يهتمون بالعودة إلى النوبة في ظل ظروف إقامتهم الطويلة وأعمالهم بالسويس، ولكنهم لا يمكن أن يفرطوا في الحصول على تعويضات منازل آبائهم وأجدادهم فمجرد وجود مكان لهم في النوبة الجديدة يمثل مكانًا رمزيًا للمكان الحاضر في هويتهم.

ويعبر أغلب نوبيي السويس -ممن شملتهم الدراسة الميدانية- عن مشاعر الأسى تجاه ما يسمونه (المأساة النوبية)، فبالرغم من أن أغلب تلك الحالات ولدت في السويس، ولم تشهد معاناة الهجرة، إلا أن ذاكرتها الجمعية تحتفظ بصور من المعاناة والإحباط إزاء قرار الهجرة من النوبة القديمة، أو كما عبرت عن ذلك صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني بقولها «أنت تيجي

تقولي روحي لمكان تاني أنت كده بتقلع جذوري». وكان واضحًا من المقابلات الميدانية اتفاقهم على أن التحديث والتعليم كانا من الثمرات والحسنات الوحيدة التي يعترفون بها، فقد كان التحديث هو الثمن الذي قدمته الدولة في مقابل الرضا بنزع الهوية، حيث المكان واللغة التي اضطر الكثير من أهل النوبة تركها خلفهم مقابل الحصول على خدمات وتعليم أفضل. ومن المظالم الجمعية التي لازال نوبيي السويس يحملونها في ذاكرتهم الجمعية عملية تغيير هوية المكان، تلك العملية التي لاتزال تصيب أجيال المهاجرين من نوبيي السويس بعدم الرضا. وكما قال صاحب الحالة رقم (٧) من الجيل الثاني «في العودة تعمدوا أني لما يرجعوا النوبيين ميرجعوهمش بنفس الكيفية اللي كانوا عايشين بيها زمان». ويوجه نوبيي السويس سهامًا حادة لنقد المؤسسات والسياسات التي اضطلعت بمسألة التعويضات، حيث لم تكن تلك التعويضات والقرارات تعبأ بمشاركة النوبيين في تحديد وتقرير هذه التعويضات. وبشكل عام لم تكن تلك التعويضات مرضية سواء للمقيمين في النوبة الجديدة أو المغتربين عنها في السويس. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «أنا عايز أحس إني جذوري موجودة».

ويقدم نوبيي السويس مقترحات كان من شأنها أن ترضيهم وتحل مشكلة التعويضات، وتدور هذه المقترحات جميعها حول العودة بجوار بحيرة ناصر مرة أخرى. ولاتزال الانتقادات الحادة توجه في كل مناسبة بعمليات هندسة وإدارة المكان الذي يتم تعويض النوبيين فيه، بل إن نوبيي السويس قد شككوا في النوايا التي تكمن خلف عملية التهجير، حيث التصور بأن التهجير كان يتضمن تفتيتًا للجماعة النوبية بأكثر ما كان يتضمن تنظيميًا واستقرارًا لهم.

«بحس زي في شيء غالي عندي اتحرمت منه، فجأة كل تاريخي وارتباطي بالأرض راح في حتة جديدة وياريت بنفس المستوى». وتشرح تلك العبارة للحالة رقم (٥) من الجيل الثاني تجسيدًا وحضورًا لعملية التهجير الأمر الذي لازال يترك آثاره السلبية. فالنوبة الجديدة برمتها لم ترض الجماعة النوبية

فهي غيرت من الطبيعة وظروف الحياة وعملية الإنتاج ووضعتهم في قرى مغايرة تمامًا لما كانوا يحيون فيها، وعلاوة على ذلك يأتي ملف التعويضات ليكون هو الأسوأ. أو كما قال صاحب تلك الحالة «مساحة البيت في التعويضات ومساحة الأرض الزراعية وقرب الناس من بعض بنحس بعدم عدالة».

ويقدم نوبيي السويس نقدًا موجهًا للمؤسسات السياسية بسبب تعمدها تجاهل اللغة النوبية في المجال العام أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «أنت خايف مننا ليه وإذا كان اللغة دي هي اللي خدمتك في حربين (١٩٥٦، ١٩٧٣)». وتكشف الدراسة الميدانية عن عدم وجود نشطاء سياسيين بين النوبيين الكنوز بالسويس، إلا أن ثمة محاولات للنقد السياسي تظهر بصورة متكررة ودائمة، حيث يتحول فيها نوبيي السويس إلى الدفاع عن المصالح العامة للنوبيين بما فيها قضايا الهوية والتعويضات، ويبدو واضحًا أن العودة من الجماعة الفرعية إلى الجماعة الرئيسية يكون حاضرًا في كافة المطالب العامة التي يرفعها النوبيون، فنوبيي السويس–الكنوز– عندما يقدمون مطالب سياسية فهي تكون مطالب تمس الجماعة النوبية ككل بداية من حقهم كتعليم اللغة النوبية إضافة إلى الشكوى من التهميش الثقافي والحضاري وصولًا لحقوقهم في التعويضات والعودة إلى النوبة القديمة. كما أكد ذلك صاحب الحالة رقم (١٢) من الجيل الثاني «أنا كحضارة الدولة مطنشاني بتشوه صورتي إني عاوز أنفصل موضوع اللغة أنت لية مش عاوزني أعلم الناس اللغة النوبية، في كتب التاريخ مفيش ذكر للحضارة النوبية خالص، في الدستور في مادة كاملة فيها حق العودة».

ويختلط عدم التخطيط وكذا عدم الاستماع أو تحكيم الدراسات الميدانية –لما لها من قدرة على تحقيق الرشادة السياسية– مع المظالم الاجتماعية لنوبيي السويس، حتى يصل بهم الحال إلى أن يتصوروا أن المقصود بالتهجير من النوبة القديمة –ليس فقط– إقامة السد العالي لكن أيضًا تفتيت وتشتيت

الجماعة النوبية.

«الدولة شتتنا بقصد وبدون قصد» «أنت هَجّرتنى في الأول وظلمتني في التاني». وتحمل تلك العبارات لصاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني دليلًا على الوعي بالمظالم الجمعية التي لاتزال حاضرة في أذهان نوبيي السويس، إضافة إلى العديد من الروايات التاريخية والقضايا التي لاتزال تشغلهم، منها على سبيل المثال قيام الحكومة المصرية بتعويض نوبيي السويس بمنحهم ثلاثة أفدنة لكل أسرة بإجمالي ١٢٦ فدان لعدد ٤٢ أسرة، وهو مجموع الأسر النوبية التي كانت موجودة في السويس في ذلك الوقت، إلا أنه في أعقاب حرب ١٩٦٧ والتهجير القسري لجميع مواطني السويس، ثم العودة في أعقاب انتصار أكتوبر ١٩٧٣ قامت الحكومة بنزع ملكية هذه الأرض من النوبيين، وتخصيصها لإحدى مؤسسات الدولة.

وتقدم متابعة نصوص المقابلات الميدانية العديد من الدلائل على المظالم التي تعرض لها الآباء والأجداد إبان حصر تعويضات النوبيين في المجتمع النوبي بأسوان، وترد على ألسنة نوبيي السويس روايتين في هذا الصدد، فالأولى تتمثل في قيام موظفي الحكومة بعملية حصر التعويضات في المجتمع النوبي بأسوان في شهور الفيضان، تلك الشهور التي يكون فيها النوبيون –خاصة الكنوز– مهاجرون للعمل بشكل مؤقت في المدن الكبرى وإقليم قناة السويس، الأمر الذي مثل تحيزًا متعمدًا ضد أعداد كبيرة منهم والتي لاتزال قضية التعويضات تشغلهم إلى اليوم. وتقول الرواية الثانية أن موظفي الحكومة عندما كانوا يقومون بحصر التعويضات لم يكونوا على قدر كبير من التواصل مع أبناء المجتمع النوبي، حيث أن موظفي الحكومة يتحدثون العربية بينما كان العديد من النوبيين في أسوان –في ذلك الوقت– لا يتحدثون إلا اللغة النوبية ولا يفهمون العربية. وكما قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني «هو بيتكلم باللغة العربية واللى بيتحصر ليهم دول نوبيين، فالنوبي مش فاهم هو بيكتب إيه وده مش فاهم هما بيقولوا إيه». وكانت الدولة المصرية إلى وقت

قريب تعتمد على العمد والمشايخ والأعيان في إدارة الشئون المحلية والتواصل بين الدولة والأهالي، ولعب العمد والمشايخ دورًا رئيسيًا في عملية تهجير النوبيين، بل ومارس البعض منهم صورًا للخداع والتزييف في مقابل التزلف ونيل المطالب والمطامع الشخصية التي يحصل عليها العمد والمشايخ، وتظهر بعض الحالات بين الحين والآخر التي تصب جام غضبها على إثنية الفاديج عمومًا وعمدها ومشايخها خصوصًا، حيث يقول صاحب الحالة رقم (١٨) من الجيل الثاني«في عملية خداع تمت من الحكومة، خدوا العمد الفاديج اللي هما أكتر، خدوهم يومين في أسوان قعدوهم في فندق وعرفوهم يقولوا إيه لينا، يقولوا إحنا رحنا البلد لقينا البيت واسع ولقينا البيت كبير». وتحكي لنا إحدى حالات الدراسة صورة حية لاتزال نابضة في عقولهم وقلوبهم تعبر عن الصدمة التي فوجئوا بها عندما انتقل أجدادهم وآباءهم من النوبة القديمة إلى النوبة الجديدة. وهذا ما عبرت عنه الحالة رقم (١٧) من الجيل الثاني «الناس لما راحوا في البيوت الجديدة، راحوا لقوا البيوت صغيرة قعدوا يومين مرضوش يدخلوا البيوت». ويضاف إلى ذلك العطايا والرشاوى السياسية التي حصل عليها العمد والمشايخ في مقابل تزييف الحقائق ومعاونة الدولة في تهجير النوبيين إلى أماكن لا يرضونها. كما قال صاحب الحالة رقم (١٤) من الجيل الثاني «تلاقي العمدة في كل قرية واخدله ٣ أو ٤ بيوت علشان يسكِّت الناس». ولازال نوبي السويس يؤكدون على أن عمليات التهجير على آلامها ومشاقها لا يمكن أن تنال من وطنيتهم، أو حتى وطنية غيرهم من الاثنيات الفرعية داخل الجماعة النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٥) من الجيل الثاني «أحد رؤساء وزراء السودان قال النوبيين الكنوز والفاديج يروحوا السودان، قالوا نار مصر ولا جنة السودان».

ومن المظالم التي لا يكف نوبي السويس عن ذكرها، تأتي مسألة التهجير بعيدًا عن النيل على رأس تلك المظالم، فالنوبة الجديدة لا ترق للنوبيين خاصة في بعدها عن النيل وعدم توفر مساحات زراعية بها، وهو الأمر الذي

يفتح ويؤكد مسألة إنكار الكثير من خصائص ومميزات الهوية والحياة الاجتماعية، فارتباط النوبيين بالنيل أمر حيوي لهم. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «النوبي شايف النيل حاجة مقدسة، لازم البيت يبص علي النيل». ومن المظالم التي تستشير أبناء الجيل الثالث وتسترعي استنكارهم لها، يأتي التنميط المهني النوبي في مصر إما سفرجي أو بواب أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٣) «يوم ما جاب النوبيين في الإعلام اقتصر عليهم دور البواب والسفرجي ودي عنصرية». يرفضها أبناء الجيل الثالث ويطالبون بمجهودات ثقافية وإعلامية وفنية تعكس حقيقة المواطن النوبي، وأنه مثل غيره من ملايين المصريين الذين يشغلون العديد من المهن والوظائف.

**ب-إعادة إحياء اللغة النوبية**

يتضح من المقابلات الميدانية أن الاعتراف باللغة النوبية يدور إلى حد كبير داخل الجماعة النوبية وليس خارجها، حيث تحرص الجماعة النوبية على مقاومة الجهل باللغة النوبية عند أبنائها سواء تم ذلك داخل الأسرة أو بفضل مجهودات مؤسسية تقوم بها الروابط النوبية في السويس. وتلعب الأغنية النوبية دورًا في الحفاظ على الهوية النوبية، وكان واضحًا من المقابلات الميدانية مع أحد المطربين النوبيين السابقين أن فترة الستينيات من القرن العشرين قد شهدت على المستوى الرسمي اهتمامًا واعترافًا بالأغنية النوبية باعتبارها نوعًا من الفولكلور الشعبي، فيشرح صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول تلك المحاولات بحديثه عن برنامج وحي الجنوب الذي كان يذاع ضمن الركن السوداني بإذاعة صوت العرب. ويقدم لنا نموذجًا من تلك الأغاني الكثيرة أو الأهازيج التي كان يغنيها عن شخصيات نوبية قديمة. ويبدو واضحًا من تلك الأهازيج أنها كانت تجمع اللغة العربية والنوبية وذلك على غرار الفرانكو أراب.

طشطش راجل أركُنا بيمشي ويرقص على سِنه  لابس نضارة كنه شبهه شبه الكُركُنه

وتشرح المقابلات الميدانية أن من بين مقومات إعادة إحياء اللغة هو

الاهتمام بالأغنية النوبية، وتقدم لنا حالات الدراسة صورًا عديدة من المقارنات بين عملية إحياء اللغتين الكنزية والفاديجية، ونكتشف من تلك المقابلات أن نشاط إحياء اللغة الفاديجية كان أكثر تأثيرًا وعمقًا مقارنة باللغة الكنزية، ومن بين الأسباب التي قدموها لتلك الحالة كان الاهتمام بالأغنية النوبية الفاديجية على رأس هذه المقومات. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «الأغنية أهم مصدر للحفاظ على اللغة العيل الشاب بيحفظها لأنها سهلة». في مقابل الضعف الذي تقابله اللغة النوبية في السويس نجد حركة نشطة في إحياء اللغة النوبية الكنزية في المجتمع النوبي بأسوان. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «أنا شايف في تجربة في أسوان معمولة الأيام دي، في بنت عندهم في امبركاب بدأت تعلم اللغة الكنزية عندها في البيت وفي الحضانات». ويدرك نوبيي السويس أن إحياء اللغة النوبية الكنزية في أسوان ستكون أيسر وأسهل، ومن ثم قدموا مطالبات تتجاوز الأدوار الفردية إلى حد مطالبة الروابط والهيئات النوبية بالسويس إلى تبني تلك المبادرات ونقلها إلى السويس. أو كما قال صاحب تلك الحالة «دي تجارب حلوة المفروض الهيئات بتاعتنا في السويس تتبناها».

وعملت الجماعة النوبية ذاتها في السويس دورًا سلبيًا في عملية الاعتراف باللغة النوبية، حيث عمل الآباء والأمهات في الأسر النوبية القادمة والمقيمة في السويس على الحرص على تعليم أبنائها اللغة العربية، حتى يتمكنوا من الاندماج في سلك التعليم الرسمي والذي يمكنهم من التوظيف والترقي الاجتماعي والمهني، ووصل هذا الدور إلى الحد الذي كان يمتنع فيه الآباء والأمهات عن الحديث باللغة النوبية أمام أبنائهم، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «الوالد والوالدة مكانوش بيتكلموا جمبنا نوبي عشان العيل يتعلم في المدرسة، هما ضحوا باللغة عشان تعليمنا إحنا». ويبدوا واضحًا أن نوبيي السويس لا يجيد أغلبهم اللغة النوبية بشكل تام. وتتعزز تلك الأفكار بمزيد من الايضاح من خلال تأكيد صاحب الحالة رقم (٩) من الجيل

الثاني «فقدت اللغة لكن بحاول أربي ابني على مبادئ وقيم المجتمع النوبي بجيبه النادي بجيبه الجمعية». فالتضامن بين وحدات ومكونات الجماعة النوبية صار هو المهمة التي ينبغي الحفاظ عليها، عبر عملية التنشئة الاجتماعية إضافة إلى الاهتمام بالروابط والتنظيمات النوبية بالسويس.

**ج-إظهار العادات والتقاليد والأخلاق الحميدة:**

واجه النوبيون (الكنوز) في البدايات والمراحل الأولى من نزوحهم إلى السويس عمليات إقصاء وإنكار لوجودهم، وارتبط ذلك بصور ومعاني من الوصم والسخرية، مثل وصفهم بأنهم برابرة؛ الأمر الذي أدى إلى تعبئة الجماعة النوبية، بحيث حرصت على استدعاء المكونات والسلوكيات الحميدة، والتي كانت أدوات مقاومة لذلك الوصم، فلم يدخل النوبيون في علاقات صراعية صريحة مع المجتمع المحلي الذي هاجروا إليه، ولكنهم عملوا على حسم ذلك الصراع عبر أخلاقهم الجمعية وسلوكياتهم الحميدة. وهذا ما أكده صاحب الحالة رقم (٧) من الجيل الثاني «لما كنا جايين طلعوا علينا كلمة البربري، وابتدت التريقة علينا في المواصلات». كما أكد ذلك صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «إحنا حاربنا بثقافتنا كل الكلام دا عشان ناخد مكانا في المجتمع». ويؤكد صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «أصبحنا كلنا صورة للمجتمع كل واحد غير فكرة المجتمع عننا». وتدل هذه العبارة على عملية الصراع من أجل الاعتراف بالهوية، ذلك الصراع الذي أدارته الجماعة النوبية بصورة جمعية وبما يمنح كل فرد من أفراد الجماعة النوبية الوعي والقوة المعنوية اللازمة للنجاح في ذلك الصراع. ونجحت الجماعة النوبية في السويس في استخدام النادي النوبي الرياضي في عمليات تعزيز الهوية النوبية والقبول الاجتماعي للنوبي، حيث يشهد الجميع السمعة والمكانة الطيبة التي يتحلى بها من ينتسبون إلى ذلك النادي حتى ولو كانوا من غير النوبيين. حتى أن الانتساب إلى النادي النوبي الرياضي صار رأس مال اجتماعي مهم عند انتقال اللاعبين إلى أندية أخرى، أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني

«انهارده في السويس هات أي نادي يقولك نادي النوبة يقولك، دا مؤسس في نادي النوبة».

ويحتل نوبيي السويس مكانه رفيعة في مجتمعهم المحلي، وقد نجحوا في بناء هذه المكانة وتطويرها عبر سلوكهم الاجتماعي المتبادل مع الآخرين، ويفسر صاحب الحالة رقم (١١) من الجيل الثاني الثقة المتميزة التي يتمتع بها نوبيي السويس «أنهم مش بتوع مشاكل معندهمش صوت عالي ومشهورين بالنظافة والترابط بين الجيرة وبعضها».وتقدم لنا حالات الدراسة نموذجًا لجماعة بشرية تعيش بسلام وهدوء دون أن يسجل عليها أية نزاعات أو صراعات عنيفة أو صريحة بينها وبين المجتمع المحلي. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني «على مدار السنين إلى قعدناها في السويس مفيش مشكلة حصلت بين السوايسة والنوبيين». ويحظي نوبيي السويس بقدر كبير من القبول الاجتماعي، ويعد ذلك نتيجة لمجهودات عدة أجيال تمكنت من تخليد قيمها وسلوكياتها الاجتماعية في أذهان وعقول أهل السويس. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٢) من الجيل الثاني «إحنا لما بتروح أي حتة الناس بتدينا فوق قدرنا». حيث يحرص كل نوبي على تمثيل الجماعة النوبية عبر سلوكه الاجتماعي، وبما يحقق المظهر اللائق المميز للجماعة النوبية ككل، ويمارس شباب الجيل الثالث دورًا مهمًا في إعادة إنتاج الهوية النوبية بل إنهم كانوا أكثر تشددا من الجيلين الأول والثاني في الحرص على معايير الجماعة النوبية وعدم انتهاكها أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٢) «أنا لو لقيت حد نوبي بيحيد عن السلوكيات بتاعتنا برجعوا علشان المجتمع كلو يبقى صورة وحدة».

ومن صور الاعتراف بالهوية يأتي التمسك والحفاظ بنظام العادات والتقاليد المشتركة التي تنتجها الجماعة النوبية وتلتزم أعضاءها بها أو كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «لو أختي مجوزة من واحد غير نوبي وفي فرح بنت خالة أمي فعندكم دي بعيدة عندنا دي قريبة لازم تيجي وتقعد الستات وتخدم فأنا لو نوبي ومراتي نوبية وراحت فرح نوبي مش هزعل ولكن لو

أنا غير نوبي مش هفهم ومش ههتم». ويبدو واضحًا من تلك العبارة السابقة الارتباط الوثيق بين الهوية النوبية والعادات والتقاليد المكونة لها، ومن ثم فإن أغلب نوبيي السويس يحرصون على الالتزام بتلك العادات والتقاليد حرصًا على قوة الجماعة النوبية، وتأكيدًا على قدرتهم على تطبيع أبنائهم والزامهم بمعاييرها ومن ثم تكوين هوية نقية قادرة علي الاستمرار والتماسك بدون أن تتفتت، أو تفتح أبوابها لغير النوبيين كي يفرضوا ثقافتهم واتجاهاتهم.

وثمة نمط أو نموذج للإنسان النوبي يسعى نوبيي السويس علي ترسيخه والتأكيد عليه، فالنوبي شخص متسامح ودود مع الآخرين. أو كما قال صاحب تلك الحالة «النوبي بطبيعته محبوب». ويفسر نوبي السويس وحدة هذا النموذج وتكامل هذا النمط من خلال الدور الذي تلعب الأجيال في التنشئة الاجتماعية على القيم النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٩) من الجيل الثاني «الأجيال الصغيرة كويسة ليه لأني الكبار محاوطين عليهم بيراعوهم بيخلوهم مترابطين مع بعض». ويحرص شباب الجيل الثالث من نوبي السويس على إبراز هويتهم الإثنية في كل مساحات المجال العام فهم يبادلون الآخرين بالتعبير عن هويتهم. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٣) «إني في كل مكان بأكد إني أنا نوبي».

**د-الاندماج والتضامن مع المجتمع المحلي:**

كانت دائمًا ترد على ألسنة حالات الدراسة الوعي المقارن بين تضامنهم داخل المجتمع المحلي مع مشكلات مجتمعهم عبر العديد من المؤسسات والروابط الجمعية، وبين روابط غيرهم ومستويات تضامنهم التي كانت في نظرهم تدور حول الانغلاق وعدم التواصل مع أبناء المجتمع ومحاولة حل مشكلاتهم، وهذا ما يعبر عنه صاحب الحالة رقم (١٦) من الجيل الثاني بقوله «كمجتمع نوبي مازال مترابط إلى الآن نختلف عن أي مجتمع تاني».

ويشير التراث النظري حول الصراعات الإثنية إلى أن من بين مقومات الصراعات وأدوات اشتعالها، تأتي حالة العزلة ورفض الآخر والسعي إلى

التميز عنه، الأمر الذي يفتح مزيدًا من الصراعات، حيث الصراعات الصفرية التي يسعى كل طرف فيها إلى القضاء على الطرف الآخر، أو على الأقل محو هويته المختلفة عنه، ولكن في حالة دراستنا للمجتمع النوبي في السويس فإننا قد توصلنا إلى أن الهوية النوبية يتم الاعتراف بها ليس عبر الصراع أو العزلة عن المجتمع المحلي، ولكن عبر الاندماج معه، بل وفي كثير من الأحيان إلى التعامل والتماثل معه في ذات الوقت الذي تنجح فيه الجماعة النوبية في الحفاظ على هويتها وإعادة إنتاج الكثير من مقوماتها. وتكشف المقابلات مع حالات الدراسة عن أن الاعتراف بالهوية النوبية في السويس ينأى بنفسه عن الصراع والجدال أو العزلة، وكما أكد صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني بقوله «إحنا عاملين مجتمع جوه المجتمع فكيفنا نفسينا وعشنا بطريقتنا جوه المجتمع مع المشاركة في المجتمع الأكبر».

ومن المسائل الاجتماعية المهمة التي يحرص فيها نوبيي السويس على الاندماج مع المجتمع المحلي كان التنازل عن مكون رمزي يرتبط بالمظهر وإبداء المشاعر في المناسبات الحزينة. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «حصل تغير في العادات إحنا عندنا في البلد النوبيين الكنوز لازالت الستات يلبسون حاجة اسمها شُقة بيضة ودا كان بيلبسوه في العزاء لكن في السويس بقو يلبسوا أسود». ومن بين تلك العمليات الاجتماعية التي تستخدمها الجماعة النوبية بالسويس في سبيل تحقيق التضامن مع المجتمع المحلي، تأتي أعمال البر والخير التي تبذلها الجماعة النوبية ليس فقط لصالح أبناءها ولكن أيضا لصالح المجتمع المحلي، ويتم تنظيم أعمال البر والخير عبر الجمعية النوبية والتي تمثل رأس وقيادة التنظيم غير الرسمي لنوبيي السويس كما قال صاحب الحالة رقم (٦) من الجيل الثاني «لما بدأ يحصل عندنا فائض أبتدينا إحنا نتجه لبره المجتمع نفسه، فعملنا حاجة أسمها كفالة مكملة الأسر اللي بره بديلها زي الجمعية الشرعية». وتتحول محاولات التضامن مع المجتمع المحلي إلى مزيد من النقاط المميزة التي يكتسبها نوبيي

السويس، حيث يقدم نوبيي السويس حاجات واضحة في التعريف بهويتهم لدى المجتمع المحلي وذلك عبر ما يقدمونه له من خدمات علاوة على محاولاتهم الحثيثة للاندماج والتكامل معه وهذا ما يعبر عنه صاحب الحالة رقم (٧) من الجيل الثاني بقوله «إحنا في سنين بسيطة غيرنا في المجتمع، أصبح كل واحد فينا سفير للنوبيين من خلال علاقته بالناس».

وتكتشف الدراسة الميدانية عن أن نوبي السويس قد نجحوا في الانخراط مع المجتمع المحلي بالسويس، بحيث صار وجودهم مألوفًا ولم يعد هناك أي إقصاء متعمد لهم، حيث شهد أغلبهم أنه قد حصل على فرصة ملائمة بالتعليم والعمل، علاوة على القبول الاجتماعي الواسع بوجود وعمل النوبيين بالسويس. وهذا ما أكده صاحب الحالة رقم (١٧) من الجيل الثاني بقوله «الناس لما اتعاملت معانا كنا محبوبين وسط زمايلنا وكانت فرصنا زينا زي الناس لما بتكون في فرصة تقديم لوظائف مكانش في تفرقة». وتكشف المقابلات الميدانية عن أن الجيل الثاني من نوبيي السويس لم ينجح فقط في الاندماج في المجتمع المحلي، بل إنه أيضًا قد توصل إلى فكرة الاستقرار والإقامة الدائمة بالسويس، والتنازل عن حلم العودة أرض الذهب، والارتباط بالهوية عند هذا الجيل لا تعني بالضرورة العودة إلى المكان. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «كإقامة هيبقى صعب بالنسبة لينا بالذات جيلنا لأننا استقرينا وبنينا مستقبلنا وتعودنا». وتشرح تلك العبارة كيف أن نوبيي السويس قد توصلوا إلى الرضا بالإقامة الدائمة في السويس خاصة بعد أكتوبر ١٩٧٣، وتجربة الشتات بين عدة محافظات مصرية، فهذا الجيل ارتبط بالعديد من المحددات الاجتماعية التي فرضت ضرورة الإقامة بالمجتمع الجديد، في حين كان حلم العودة مؤجلًا لصالح قوى الشباب التي تجد الفرصة المناسبة لبناء المجتمع الجديد في النوبة القديمة. كما أكد ذلك صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «الأمل موجود عندنا والأجيال اللي بعدينا إني ترجع كرمز ترجع تعمر المكان والمنطقة دي تتحول سلة مصر من الغلال».

ويقدم لنا صاحب الحالة رقم (١٨) من الجيل الثاني إشادة كاملة للمجتمع المحلي الذي يعيش فيه، بل إنه يؤكد أن نوبيي السويس تحديدًا يتمتعون بمكانة وثقة مميزة داخل المجتمع المحلي، حتي أن مشكلات الصراع من أجل الاعتراف بهويتهم ليست واردة بمجتمع السويس، وليست ثمة صراعات صريحة أو عنيفة مع المجتمع المحلي، بل إن المجتمع قد أثبت قبولاً واندماجًا مع نوبيي السويس بشكل يشيد به الآخرون. أو كما قال صاحب هذه الحالة «اللي بينكر هويتنا مش المجتمع، هنا في السويس بالذات بتختلف عن بقية المحافظات، في اعتراف واضح بالهوية النوبية وتقدير حتى في الأعمال».

**هـ-المطالبة بالحقوق الجيلية الاجتماعية والاقتصادية**

من القضايا المثيرة للاهتمام السوسيولوجي كانت مسألة الحقوق الجيلية واضحة لدى الجماعة النوبية بالسويس، وبالرغم من أن ثمة أجيال من النوبيين الذين وُلِدوا في السويس وعاشوا بها، إلا أن ثمة وعيًا متراكمًا لدى تلك الأجيال الحديثة بحقوقهم. ومن المطالب الجمعية التي درج نوبيي السويس على المطالبة بها كان حق العودة إلى أرض الذهب، وهو المطلب الرئيسي لمعظم النوبيين، ولكن ساهمت عدة عوامل في زيادة استقرار النوبيين (الكنوز) في السويس. ومن هذه العوامل كانت تجربة التهجير عام ١٩٦٧ لجميع مواطني السويس فرصة للتفكير في قرار الاستقرار بالسويس. فعندما أصدرت الحكومة المصرية قرارًا جبريًا بتهجير سكان المدينة إلى محافظة الوادي والدلتا انتقل نوبيي السويس إلى النوبة الجديدة في أسوان، بينها فضل بعض منهم الانضمام إلى أقاربهم في القاهرة والإسكندرية، وذلك في الوقت الذي فضلت مجموعة منهم تأجير شقق ووحدات سكينة مستقر في القاهرة والإسكندرية، وشجعهم على ذلك أن الحكومة كانت تدفع رواتب شهرية لجميع أسر المهاجرين، ولقد ساهمت تجربة الحرب والغربة عن السويس في فتح آفاق للمقارنة بين الحياة السابقة في السويس، والعودة إلى النوبة الجديدة أو الشتات في القاهرة والإسكندرية، ونتيجة تلك الخبرة قرر نوبيي السويس أنه بمجرد أن تضع الحرب

أوزارها فإنه لا بد لهم من العودة إلى السويس والاستقرار فيها. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٤) من الجيل الثاني «الجيل الأول كان لا يملك مسكن كان هدفه إني يرجع البلد لكن بعد ١٩٧٣ قال أنا حستقر هنا وحشتري بيت عشان كدة الجيل الحالي ٧٠% يملك شقة في السويس».

ويقدم شباب الجيل الثالث مطالبهم الخاصة بالعودة إلى النوبة القديمة باعتبارها مطالبًا جدية، حيث يطلعون إلى العودة إلى النوبة القديمة، أو إلى ما تبقى منها حول بحيرة ناصر بشرط أن يتوفر لهم مساحات من الأراضي الزراعية التي تمكنهم من البقاء والاستقرار. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٠) «أنا معنديش مشكلة أرجع أنا مش هرجع على صفر بتقولي حرجعك للأرض مش شرط مشروعات ممكن تبقى أراضي وأنا أستصلحها». ولا يهتم نوبي السويس –فقط– بشؤنهم الخاصة في السويس، بل يتضح اهتماماتهم وارتباطهم بمجتمع آباءهم وأجدادهم في النوبة الجديدة، ويظهر هذا الاهتمام بعرض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية من حيث التنمية وفرص العمل وغياب التأهل المناسب للشباب في القرى النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٥) من الجيل الثاني «القرى بقت محدودة المساحة في الموارد والوظائف». وعند هذه النقطة بالتحديد يربط صاحب هذه الحالة بين مشكلات المجتمع في السويس ومشكلات المجتمع القديم في النوبة الجديدة، حيث ينتقد صاحب تلك الحالة غياب الرؤية التنموية المتكاملة والتي تنعكس آثارها على المجتمع النوبي.

**و–إدراك المخاطر الجمعية المهددة للهوية**

يبدي نوبي السويس إدراكًا متكاملًا للمخاطر التي تهدد هويتهم، وتظهر صور واضحة من النقد للنوبيين الذين يخالفون معايير تلك الهوية، حيث الابتعاد عن قيم وتقاليد وممارسات الجماعة النوبية يمثل خطرًا يهدد الهوية من الداخل، أو كما تؤكد صاحبة الحالة رقم (٨) من الجيل الثاني بقولها «في بعض الأسر بعاد عن هويتنا». وتتفق حالات الدراسة من جميع الأجيال علي

المخاطر التي تهدد هوية الجماعة أو كما قالت الحالة الثالثة من الجيل الأول «لما كنا في النوبة القديمة كنا لينا عاداتنا وتقاليدنا ولغتنا دلوقتي لا بقينا داخلين في بعض». ومن القضايا المهمة التي تشغل بال نوبيي السويس، تأتي المخاطر التي تهدد اللغة في مقدمتها، وبالرغم من أن نوبيي السويس قد فقدوا جانبًا كبيرًا من لغتهم الأصلية، سواء كان نتيجة التعليم أو التحديث أو ضرورات الاندماج في المجتمع، إلا أنهم ما زالوا يعبرون عن حنينهم الى تلك اللغة بل ويطالبون الدولة بمجهودات حثيثة للدفاع عن لغتهم التي تمثل رمزًا لهويتهم النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٥) من الجيل الثاني «الدولة لازم يبقالها دور ودا كان أحد الحاجات المذكورة في الدستور إني يحافظوا على هويتنا».

وتشرح حالات الجيل الثالث من نوبي السويس مسألة أزمة الهوية التي يعيشها الشباب الأقل من ثلاثين عامًا، فهم يمتلكون تصورات ورؤى نقدية تجاه ذواتهم والآخرين، وتتضح معالم الأزمة في العبارات والجمل التي يستخدمونها، حيث يقول صاحب الحالة رقم (١٩) من الجيل الثالث «الهوية ضاعت من ناحية الكلام». كما يؤكد صاحب الحالة رقم (٢٠)«بقينا سواسية أكثر من نوبيين». ويؤكد –أيضًا– صاحب الحالة رقم (٢١) «مشتتين». وتوضح هذه العبارات أزمة الهوية التي يعيشها الجيل الثالث من الشباب، فهو من ناحية يرفض ضياع الهوية النوبية من حيث اللغة ومن ناحية أخرى لا يرضى عن الاندماج في المجتمع المحلي باعتباره كان عاملًا مذيبًا لهويتهم الجمعية وساهم في إضعاف تمسكهم باللغة، وكذا وعيهم الجمعي بمعاني وقيم هويتهم. ويبدو واضحًا أن الجيل الثالث من الشباب لا يقبل أن يكون الصراع من أجل الاعتراف بالهوية في صالح المجتمع المدني في السويس الذي لا يعبأ بخصوصيتهم ورغبتهم في الحفاظ على هويتهم. ويقدم الجيل الثالث من الشباب رؤى نقدية لما آلت إليه الأمور فيما يخص هويتهم النوبية، حيث تبدوا نظرات وعبارات الرفض والشجب لما أسموه ضياع اللغة النوبية. أو كما قال صاحب

الحالة رقم (٢٣) «في جيل جي مفيش لغة نوبية خالص هو عنده العادات والتقاليد بس اللي ضاعت منه اللغة». ولما كان الاعتراف بالجماعة النوبية بالسويس يقتضي تنازلًا منهم (الجيلين الأول والثاني) عن بعض من مكونات هويتهم نظير اندماجهم في المجتمع المحلي، فقد كشفت الدراسة الميدانية أن الجيل الثالث يرفض هذه التسوية، لكن البعض منهم قد طالب بالكف عن الاندماج مع المجتمع المحلي من خلال الانعزال المكاني، حيث يحلمون إلى أن تكون ثمة أحياء سكنية تجمعهم معًا على غزار المجتمع النوبي في أسوان، حتي يتسنى لهم استعادة لغتهم النوبية وتقويتها. أو كما قال صاحب الحالة رقم (١٩) «أنا نفسي إني يكون للنوبيين مكان معروف إني يقولوا دي منطقة النوبيين». ويرى الجيل الثالث من الشباب أن الاستبعاد المكاني لأجدادهم وآباءهم من المجتمع الأصلي بأسوان كان هو بداية مرحلة التشتت وإضعاف الهوية النوبية. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٠) «الناس انتشرت في كل حتة جذورهم ضاعت». وتصف حالات الجيل الثالث المعاني الجمعية التي تمتد إلى أقرانهم من شباب النوبة بالسويس، وهي بشكل عام تدور حول الاشتراك في التعرض للتنمر أو ما يصفونه بالسلوك العنصري، تلك السلوكيات التي تضطرهم إلى مزيد من الانزواء وضعف شبكات الاندماج مع المجتمع المحلي. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٠) «مفيش شاب خلال دراسته أيا كانت مرحلتها متعرضتش للعنصرية، الشباب أكتر من الأجيال الكبيرة حاسيين إني في رفض من الآخرين في المجتمع، علشان من صغرنا أتربينا هنا وشفناهم». كما يؤكد ذلك صاحب تلك الحالة «أنا بمشي في الشارع ببقا مطمن مش خايف من نظرات الناس ليا عايش وسط ناسي في أسوان». ويبدو أن ثمة مساران لمقاومة الإقصاء الذي يمارسه المجتمع المحلي بحق أبناء الجيل الثالث من نوبيي السويس، فالمسار الأول يقوم على المقاومة والتفاني في العمل والتحلي بالأخلاق الحميدة وعدم الرد الصريح على تلك السلوكيات. والمسار الثاني يقوم على تقليص شبكات الاندماج مع المجتمع المحلي والبحث عن

نوبيين مشابهين له. ومن المواقف التفصيلية التي يعرض لها أبناء الجيل الثالث فيها يخص سلوكيات التنمر والعنصرية التي يواجهونها تأتي عملية التشكيك في الانتماء حاضرة في هذا الصدد، فدائمًا كان السؤال أنت مين وجنسيتك أية مثيرًا لحنق جيل الشباب. أو كما قال صاحب الحالة رقم (٢٣) «مثلًا ياجي يقولك شكلك كدة غريب، الحاجات الصغيرة دي بتضايقني، أنت كدة بتضيع مصريتي».

## سادسًا: استخلاص نتائج الدراسة

فيما يلي سنعمل على عرض النتائج العامة للدراسة طامحين في ذلك الوصول إلى الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وكذا حل المشكلة الرئيسية للدراسة.

**السؤال الأول: ما ملامح التغير في الهوية الإثنية عبر الأجيال النوبية المقيمة بالسويس؟**

١-واجه نوبيي السويس بداية من الجيل الأول تحديات جمة، فالجيل الأول قدم من النوبة القديمة ولازال لسانه نابضًا باللغة النوبية لايعرف غيرها، ورغم تمسكه واعتزازه بلغته إلا أنه اضطر إلى أن يتعلم اللغة العربية، حتى يتمكن من العمل وتحقيق القبول في المجتمع. بينما واجه الجيل الثاني العديد من المشكلات في التعامل مع اللغة النوبية، حيث أغلب الحالات قرروا أنهم يفهمون بعض العبارات والجمل النوبية، بينما لا يجدون التحدث بها.

٢- ثبت من دراستنا لجميع حالات الدراسة من مختلف الأجيال الثلاثة أن وجود أحد الأفراد في الأسرة ممن يُجِيدون اللغة النوبية له دور هام في تعليم هذه اللغة ونقلها إلى الأجيال الأصغر، ولكن ذلك النقل لا يعني إجادة تامة للغة النوبية، ولا تخفي حالات الجيل الأول والثاني معاني الأسى على ما آلت إلية الأمور في التمسك باللغة النوبية.

٣- ينقسم المكون النوبي إلى ثلاث مكونات أساسية، المكون الإثني الفاديجي وهم الأغلبية ولهم لغتهم الخاصة المميزة لهم والمعروفة باللغة الفاديجية،

والمكون الكنزي ولهم لغتهم الخاصة بهم والمعروفة باللغة الماتوكية، أما العرب فهم يتحدثون اللغة العربية .ولنوبيي السويس تاريخ مشترك يجمعهم معًا، وتعود جذوره إلى النوبة القديمة، ولازال ذلك التاريخ يؤثر في حياتهم اليومية بالسويس.

٥-ثبت من دراستنا الميدانية أن نوبيي السويس ينتمون إلى هوية إثنية فرعية تسمى الكنوز، وكان للكنوز مناطق محددة لهم في النوبة القديمة تقع شمالها، وانعكس ذلك التوزيع المكاني على العمران في النوبة الجديدة وكذلك على نمط الهجرة إلى السويس، حيث أن أغلب نوبي السويس هم من الكنوز، ويختلف الكنوز عن الفاديج في الهوية، خاصة من حيث اللغة والتاريخ المشترك.

٦-حرص النوبيون الأوائل الذين نزحوا إلى السويس على أن تكون لهم روابط تنظيمية تحفظ هويتهم وتضامنهم معًا -وكانت الجمعية النوبية التي أنشأت عام ١٩٢٢- باكورة تلك الروابط، والتي التأم حولها نوبيي السويس، ومن خلالها تمكنوا من تطوير أدواتهم التنظيمية التي ازدادت كثافَة وتطورًا حتى زاد حجم أنشطتها التنموية والاجتماعية، ليس فقط لرعاية نوبيي السويس ولكن لصالح المجتمع المحلي، وارتبطت الطريقة الصوفية بالجمعية النوبية، وتآزرا معًا في سبيل تعزيز التضامن والرؤى الجمعية المشتركة، فبالرغم من أن حالات الجيل الثاني لا ينتسب أغلبها إلى الطريقة الصوفية، إلا أنه يعتز بها باعتبارها تراثًا نوبيًا وليس صوفيًا فقط، ذلك التراث الذي انتقل إلى السويس ليزيد من تماسك الجماعة النوبية وتضامنها، غير أن حالات الجيل الثالث لا تعتبر الطريقة الصوفية، ذات شأن يذكر في الهوية النوبية بل وتستنكر وتدين الانتساب لها. فبجانب الجمعية النوبية والساحة الميرغنية الختمية اللذان يلعبان دورًا في تعبئة الجماعة النوبية من أجل الحفاظ على هويتها وتضامنها، يأتي دور النادي النوبي الرياضي بالسويس -وهو الأحدث إنشاءً عام ١٩٢٤- ليزيد من حجم وقوة الروابط التنظيمية والتي

يلتف حولها نوبيي السويس، فلا يمكن لأى نوبي أن يستقر بالسويس دون الارتباط بالجمعية النوبية وروابطها. وتتضافر الروابط التنظيمية النوبية في ترسيخ ودعم الرؤى الجمعية المشتركة، إلا أن تلك الرؤى ليست موحده بين الأجيال، فالجيلين الأول والثاني تكاد أن تكون رؤاهم الجمعية واحدة، بينما الجيل الثالث لا تكف حالاته عن تقديم انتقادات واقتراحات لتعديل بعض الممارسات التي تقوم بها الروابط التنظيمية. ويأتي على رأس تلك الاقتراحات فرض مزيد من الاستقلال عن المجتمع المحلي، حتى يتسنى للجماعة النوبية بالسويس الحفاظ على ماتبقى من هويتها.

٧-يفرض التضامن بين الجماعة النوبية بالسويس منظومة سلوكية متداولة بينهم، بحيث تعكس هويتهم وتضامنهم معًا، وتقوم معالم تلك المنظومة باعتماد نمط أخلاقي محدد للشخصية النوبية، بحيث يمتلك المجتمع المحلي انطباعًا عامًا وتوقعات مسبقة عن المواطن النوبي بالسويس.

**السؤال الثاني: ما خصائص عملية الاعتراف بالهوية الإثنية لدى أجيال النوبيين في السويس؟**

١-حرص نوبيي السويس بدايًة من الأجيال الأولى التي وفدت في الربع الأول من القرن العشرين على تعليم اللغة العربية للكبار، ومن ثم تم إنشاء أول مدرسة ليلية في السويس لتعليم اللغة العربية ومحو أمية الكبار عام ١٩٢٢ وهو ذات التاريخ الذي تم فيه إنشاء جمعية الاتحاد النوبية في السويس، حيث كان تعليم اللغة العربية هو أول نشاط تقوم به تلك الجمعية. ويدل ذلك على حرص نوبيي السويس على الاعتراف بحقهم في العمل بالنشاطات الاقتصادية التي اجتذبتهم إلى السويس، هذا فضلًا عن الاعتراف بوجودهم من جانب المجتمع المحلي.

٢-وجد الجيل الثاني لنوبيي السويس أنفسهم بلا لغة نوبية متماسكة كما كان الحال عند الجيل الأول، بل إن كثيرين منهم يجهلون اللغة النوبية ويحُمِلون بشدة على الجيل الأول نظرًا لتقصيرهم في تعليم اللغة النوبية، إلا أن

النجاح الذي حققه أبناء الجيل الثاني من حيث تقلد الدرجات العلمية والمناصب والوظائف الحكومية، وكذلك المؤسسات والهيئات الاقتصادية ذات المكانة والدخل المميز، الأمر الذي ساعد في تخفيف حدة الوعي بالأزمة مع الأجيال السابقة أو الذات، وأقتصر أبناء الجيل الثاني في عملية إعادة إحياء اللغة النوبية على الاستخدام البسيط لبعض المعاني والمفردات النوبية داخل الأسرة أو جماعة الرفاق. بينما واجه أبناء الجيل الثالث تحديًا كبيرًا على مختلف المستويات، فالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية لم تهتم باستيعابهم كما فعلت مع أبناء الجيل الثاني، هذا علاوة على أنهم واجهوا الفقد التام للغة النوبية، بينما زاد وعيهم بهويتهم خاصًة أن ثمة مشكلات اجتماعية وإثنية يواجهها أبناء الجيل الثالث، حيث ساهم عدم حصولهم على فرص اجتماعية واقتصادية، وكذا الانتقادات والسخرية اللاذعة لحضورهم في المجال العام أو المؤسسات الاجتماعية على زيادة حدة انتقاداتهم لأبناء الجيل الثاني الذين لم يحرصوا على تعليمهم اللغة النوبية، فهم لايفهمون اللغة النوبية ولا يتحدثون بها.

٣-خضعت العادات والتقاليد لنوبيي السويس لتحولات عديدة، فالجيل الأول كان محملًا بِسَلّة كبيرة من العادات والتقاليد المميزة لهم، بداية من الأزياء، مرورًا بالمناسبات والسلوكيات الاجتماعية، وصولًا إلى التفاعلات والمعاني الرمزية. إلا أن انتقالهم إلى السويس فرض عليهم تحديًا ضروريًا، حيث الاختيار بين الاعتراف بوجودهم وحقوقهم في المجتمع ومن ثم التضحية ببعض العادات والتقاليد التي لا يمكن أداؤها في المجتمع الجديد، أو الانعزال عن المجتمع المحلي والتمسك بالعادات والتقاليد النوبية الأصيلة، إلا أن الجيل الأول أختار أنماطًا من العادات والتقاليد تتفق مع روح المجتمع الجديد، في نفس الوقت الذي عملت فيه الروابط التنظيمية على أن تُكَوِن نوبة موازية وافتراضية يمكن لهم من خلالها وفيها الحفاظ على بعض العادات والتقاليد الأصيلة، ومن العادات والتقاليد التي تسامح فيها أبناء

الجيل الأول كان تزويج بناتهم من غير نوبيين، حيث تغيرت معايير زواج الإناث عند بعض أسر الجيل الأول لتقوم على الكفاءة والجدارة وليس الانتماء إلى الهوية الإثنية. بينما ظل زواج الذكور ملتزمًا –إلى حد كبير– بالزواج من نوبيات حتى ولو كن مختلفات في الهوية الإثنية الفرعية مثل بعض حالات زواج الذكور من فاديجيات.

٤–اتفق أبناء الجيل الثاني مع الجيل الأول من حيث نمط العادات والتقاليد وطرق ممارستها، فعند الظهور في المجتمع المحلي أو المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية لابد من الظهور بمظهر ملائم والتحلي بسلوكيات قويمة وحميدة، بحيث يكون النوبي مُمَثلًا في كل واحد منهم، ولن يختلف كثيرًا أبناء الجيل الثالث عن الجيلين السابقين من حيث الارتباط بالعادات والتقاليد النوبية إلا أن ثمة إدانة واضحة للمجتمع المحلي الذي لا يراعي ارتباط النوبي بعاداته وتقاليده القديمة، حيث يبدي شباب الجيل الثالث حساسية واضحة عند التعبير عن اهتمامهم بعاداتهم وتقاليدهم القديمة، ولا توجد تلك المعاني لدى أبناء الجيلين الأول والثاني الذين يعبرون عن رضاهم عن المجتمع وموقفه منهم.

٥– أُضطر نوبيي السويس إلى خلق وبناء روابط تنظيمية ليس فقط لحماية هويتهم، ولكن أيضًا لتنظيم علاقتهم بالمجتمع المحلي، بحيث يكون الاعتراف بهم وبوجودهم عبر الروابط التنظيمية فالعلاقات الاجتماعية لا تنشأ فردية –فحسب– بينهم وبين المجتمع المحلي، ولكنها تنشأ في إطار مرجعية جمعية التي تبذل دورًا كبيرًا في خدمة المجتمع المحلي عبر (الجمعية النوبية –النادي النوبي الرياضي–الطريقة الصوفية) فهي جميعها مؤسسات منفتحة على المجتمع المحلي، وتسمح بمشاركة غير النوبيين من ذلك المجتمع. ونجح ذلك الدور المزدوج للروابط التنظيمية النوبية في منح الاعتراف لنوبيي السويس وبروابطهم التنظيمية، وكان واضحًا أن أبناء الجيلين الأول والثاني يساهمون بفاعلية في دعم تلك الروابط التنظيمية

والمشاركة في أعمالها تطوعًا، أما حالات الجيل الثالث فقد رفضوا أن تكون الطريقة الصوفية من بين تلك الروابط التنظيمية التي تنظم علاقة نوبيي السويس بالمجتمع المحلي وشروط الاندماج والتضامن معه، كما أنهم لم يشاركوا بمجهودات تطوعية في أعمال النادي أو الجمعية النوبية.

٦-تعمل الأجيال النوبية بالسويس على تسليم الأجيال التالية لها تصورًا للمظالم الجمعية أو المأساة النوبية، فالأجيال النوبية بالسويس تتفق على أن التهجير من النوبة القديمة لازال يمتهن كرامتهم، رغم أن الكثيرين منهم وُلِدوا في السويس ولم يشهدوا النوبة القديمة. وتتفق حالات الدراسة من كل الأجيال في عرضهم للمأساة والمظالم النوبية على أن عملية التهجير اتسمت بالتمييز المتعمد وغياب المنهجية العلمية في عملية تهجير ونقل الناس من النوبة القديمة، أو حصر المقيمين بها فعليًا.

٧-كشفت الدراسة الميدانية عن أن نوبيي السويس -على اختلاف أجيالهم- يمتلكون رؤية موحدة فيما يتعلق بالمرجعية المكانية -النوبة القديمة- التي يرتبطون بها فهي عندهم موطن أهم الحضارات الإنسانية. وتتفق حالات الدراسة جميعها على أن كل نوبي له حق مكاني في النوبة القديمة، حتى وإن وُلِد حديثًا أو بعيدًا عنها، فجميع الحالات تطالب أصحابها بحقهم في أرض النوبة القديمة، ولا يختلف في ذلك الجبل الأول عن الثاني أو الثالث.

٨-يحرص نوبيي السويس على تقديم وإظهار المخاطر الجمعية التي تهدد هويتهم، ويأتي على رأس تلك المخاطر مستقبل اللغة النوبية، فجميع حالات الدراسة يدركون أن اللغة النوبية مستقبلها ليس بخير، ووصل الأمر إلى التحذير من ضياع محقق للغة النوبية، وتختلف درجة الوعي بالتهديد من جيل إلى آخر، فالجيل الأول الذي يفهم اللغة النوبية ويتحدثها بطلاقة يرى أن التهجير هو سبب تلك الأزمة التي تمر بها اللغة النوبية، بينما يرى الجيل الثاني أن التحديث والاندماج في المجتمع المحلي ومؤسساته هو مصدر ذلك التهديد رغم استفادتهم من برامج التحديث، في حين يحمل

شباب الجل الثالث على تقصير من سبقوهم في نقل اللغة النوبية والحفاظ عليها، وتزداد حدة الوعي بالأزمة لدى ذلك الجيل الذي لازال يبحث عن هويته التي افتقدت أهم معالمها ممثلة في اللغة.

٩-لايكف نوبيي السويس عن التذكير بهويتهم وحضارتهم القديمة، وأن الانسان النوبي هو صانع حضارة عظيمة أضافت إلى التاريخ الانساني والمصري الكثير من الانجازات، ومن ثم فإن من المخاطر التي تهدد الهوية النوبية هو إنكار تلك الصلة الحضارية بين النوبيين وحضارتهم، ومن ثم كان التهجير من النوبة القديمة أبرز تلك المخاطر التي هددت الهوية النوبية، لأنها كشفت عن عزل الإنسان النوبي عن بيئته الطبيعية التي كانت المكان الوحيد الذي ظل محتفظًا بكل معالم الهوية النوبية، لذا فلاتزال ذكرى التهجير أو المأساة النوبية توضع على رأس المخاطر الجمعية، ويضاف إلى ذلك الانكار والتجاهل المتعمد من جانب الحكومة وأجهزتها الثقافية والتعليمية التي لا تعترف بالحضارة والثقافة النوبية وأنشطتها ومناهجها وذلك باستثناء الظهور الفلكلوري للفن والغناء النوبي في بعض الحالات المحدودة.

**السؤال الثالث: ما صور وأنماط الصراع من أجل الاعتراف بالهوية النوبية لدى أجيال المهاجرين النوبيين؟**

١-كشفت الدراسة الميدانية عن أن ثمة صراعًا يجري من أجل نيل الاعتراف بالهوية لدي الجماعة النوبية بالسويس، ويتخذ ذلك الصراع عدة مسارات.

**المسار الأول: ويتخذ مستويين: أ- المستوى الأول:** سنجد أن الصراع من أجل الاعتراف بالهوية يبدأ في صورته الأولى منطلقًا من الصراع بين الأجيال داخل كل جماعة، وهو ما ثبت من الدراسة الميدانية من أن الجيل الثالث غير راضين عن كثير من الآليات والأساليب التي يدير بها الجيل الثاني حركة الجماعة وروابطها التنظيمية. فشباب الجيل الثالث لا يروق لهم الثمن الذي دفعه الجيلين الأول والثاني؛ والذي تمثل في تقديم تنازلات

ملموسة نالت من بعض مكونات الهوية النوبية في سبيل أن يتم الاعتراف بوجودهم واستقرارهم في المجتمع المحلي.

**ب- المستوى الثاني:** من الصراع على مايقوم به بعض الأفراد –داخل الجماعة النوبية– من انتهاك القيم والمعايير الجمعية حيث الصراع بين مطالب الهوية الفردية في مقابل ضوابط الهوية الجمعية، فالصراع هنا يصب في إطار تعزيز أو تفكيك القوة الجمعية للجماعة كما اتضح من الدراسة فإن أكثر مجالات ذلك الصراع هو نطاق تحديد الحرية الشخصية للأفراد في اختياراتهم خاصة في الزواج والعلاقات الاجتماعية، فالصراع هنا يتم من أجل الاعتراف بقوة الجماعة وسلطتها، وفرض هيبتها بين أبنائها حتى لا يخالفوا ضوابطها. ومن القضايا الميدانية التي كانت نموذجًا لهذا الصراع هو قرار الذكور الزواج من غير نوبيات حيث يجد هذا القرار معارضة شديدة ولا يمر بسهولة الأمر الذي يجعل أغلب الذكور النوبيين مقتنعين بحتمية الزواج من نوبية للحفاظ على الهوية النوبية وكذلك العادات والتقاليد.

**المسار الثاني:** ويكشف عن صراع من نوع مختلف فهو صراع بين الإثنيات الفرعية من أجل الاعتراف بأصالة هوية كل منها، ويبدأ الصراع من التمييز في اللغة بين كل جماعة وأخرى، حيث أن كل جماعة تجهل لغة الجماعة الأخرى وتعمل على تمييز لغتها في المجال العام باعتبارها أنها هي اللغة النوبية. ومن ثم تنكر اللغة والانتماء الإثني للجماعة الأخرى كما هو الحال مع النوبيين العرب الذين يتم إنكار هويتهم النوبية، وكذلك بين الفاديج والكنوز الذى يحاول كل منهما أن يتصدر المشهد النوبي والترويج لعادته وتقاليده وفنونه على أنها هي الفنون والعادات والتقاليد النوبية. ويقوم ذلك الصراع على اعتماد قوى ومعاني رمزية تزيد من اعتزاز كل جماعة فرعية بهويتها، والتي تغذيها بداية من مرحلة التنشئة الاجتماعية وصولًا إلى الانخراط مع جماعة الرفاق، ويصل ذلك الصراع إلى التزام كل جماعة فرعية بتغذية هويتها المستقلة بعيدًا عن إلزام الجماعة الأخرى بتبني مبادئ هويتها، وكان

واضحًا من الدراسة الميدانية أن جماعة الفاديج هي الأنشط في ذلك الصراع ليس فقط بسبب الظروف البنائية التي مرت بهم في النوبة القديمة وشكلت الكثير من ملامح هويتهم الفرعية، ولكن أيضًا بسبب أنشطتهم الثقافية والحضارية التي يتبادلونها مع الفاديج السودانيين الأكثر عددًا في نوبيي السودان الأمر الذي يخلق دعمًا ثقافيًا للهوية الفرعية الخاصة بالفاديج في مقابل الهويات الفرعية الأخرى.

**المسار الثالث:** الصراع الذي يجري بين الجماعة النوبية ككل والمجتمع المحلي بمؤسساته الرسمية: ومع ضيق الحال في المناطق الكنزية في النوبة ازدادت موجات تلك الهجرة الذكورية والأسرية معًا، ولم يكن يدر في خَلَدْ المهاجرين أنها هجرة بلا عودة بل كانت هجرة مؤقتة في سبيل تحصيل زيادة في الدخل، وأثناء تلك الإقامة واجه النوبيين انتهاكات رمزية ومعنوية لهويتهم وتقاليدهم الظاهرة، الأمر الذي عجل بانخراطهم في صراعات رمزية من أجل مقاومة إنكار هويتهم والوصول إلى معادلة يعترف فيها المجتمع المحلي بحقوقهم في العمل والإقامة بلا منازعات معهم.

٢-كشفت الدراسة الميدانية أن عملية الصراع من أجل الاعتراف بالهوية ترتبط بطبيعة التركيب والبناء الاجتماعي القائم، فطبيعة الصراعات التي انخرط فيها نوبيي السويس من أجل الاعتراف بهويتهم كانت صراعات رمزية وغير مكشوفة أو صريحة، واعتمدت على تجنب المواجهة مع المجتمع المحلي في نفس الوقت الذي قرر فيه نوبيي السويس منذ بداية نزوحهم إلى المدينة التنازل طواعية عن بعض مكونات الهوية النوبية، وبالتالي تجنب اعتبارها مدخلًا للصراع مع المجتمع المحلي علاوة على رغبتهم في التدرج الاجتماعي والطبقي داخل ذلك المجتمع باستخدام آليات التعليم والتحديث.

٣-ثبت من الدراسة الميدانية أن عملية الصراع التي انخرط فيها نوبيي السويس مع المجتمع المحلي لم تتم بين النوبيين كأفراد من جهة والمجتمع المحلي من جهة أخرى، حيث كان الاعتماد على الروابط التنظيمية هو الأداة

الفاعلة لنوبيي السويس في صراعهم مع المجتمع المحلي، حيث نجحوا في إدارة ذلك الصراع بكفاءة واضحة، ومكنهم استخدام تلك الروابط في الصراع من النجاح في الاندماج الاجتماعي المشروط بظهور هويتهم والاعتراف بها، بل إن هويتهم التنظيمية باتت أكثر ظهورًا ومعرفةً في المجتمع المحلي وذلك عبر الخدمات الاجتماعية التي تقدمها تلك الروابط إلى المجتمع المحلي.

٤- ثبت من الدراسة الميدانية أن عملية الصراع مع المجتمع المحلي تختلف من حيث نمط وموضوع الصراع والنتائج المترتبة عليه من جيل إلى آخر فالجيلين الأول والثاني فقد أدارا ذلك الصراع من خلال التنازل عن بعض مكونات الهوية النوبية في سبيل الاعتراف بحقوقهم في الإقامة والعمل، وكانت اللغة ومطالب العودة إلى النوبة أو ربط الهوية بالمكان هي محور ذلك التنازل الذي قدمه الجيلين الأول والثاني، فاللغة لم تعد نطاقا للصراع من أجل الاعتراف بالهوية، حيث لم يحاول نوبيي السويس تأكيد هويتهم للمجتمع المحلي في السويس عبر مسألة اللغة النوبية، وبشكل عام يمكن القول أن الجيلين الأول والثاني نجحا في التكييف والاندماج مع المجتمع المحلي الذي منحهما ثقة وتقديرًا متبادلًا، بينما الجيل الثالث واجه الكثير من المصاعب في عملية الاندماج وقد يعود ذلك -كما قررت الدراسة الميدانية- إلى عدم الاستقرار الاقتصادي، علاوة على مشكلات الاعتراف بالهوية.

## سابعًا: بعض المقترحات البحثية في ضوء نتائج الدراسة

يتصل البحث في قضايا الهوية الإثنية بالتركيب الاجتماعي للمجتمعات القومية، فلابد للباحث من تسليط الأضواء البحثية والميدانية على المكونات الاجتماعية المختلفة، فبدون فهم التركيب الاجتماعي بمكوناته الإثنية والقومية والقبلية لن نتمكن من فهم العديد من القضايا والظواهر الاجتماعية التي تحركها مكونات اجتماعية تعكس هوية الفاعلين .

ولا ينبغي للبحث في قضية الاعتراف أن يتوقف على الجماعات الإثنية بل إنه ينبغي أن يمتد إلى اعتباره محيطًا مركزيًا لمسألة الهوية والمطالب التي

يقدمها أصحابها، فالبحث في الهوية والاعتراف من القضايا الجوهرية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا؛ والتي تكشف عن معطيات اجتماعية، ووقائع تاريخ-اجتماعي قد نغفل عنها؛ رغم أنها حاضرة وفاعلة لكننا قد نجهل رصدها. لذا توصي هذه الدراسة بضرورة دراسة المقترحات البحثية التالية:

١-الحركات الاحتجاجية ومشكلة الاعتراف

٢-التكوين الاجتماعي وأزمة الاعتراف

٣-الصراعات الاجتماعية الاثنية والقبلية ومشكلة الاعتراف في الدولة الوطنية

## قائمة المراجع

**أولاً : المراجع العربية**

١-ابن خلدون، (٢٠١٩). مقدمة ابن خلدون. دار نهضة مصر. ج(٢) ط (٩).

٢-إريكسون، توماس هايدلاند. (٢٠١٢). العرقية والقومية: وجهات نظر أنثروبولوجية. ترجمة لاهاي عبدالحسين. سلسلة عالم المعرفة. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٣-الزين، محمد شوقي. (٢٠٠٨). الإزاحة والإحتمال. صفائح نقدية في الفلسفة الغربية. الجزائر. الدار العربية للعلوم ناشرون.

٤-الكفارنة، أحمد عارف أرحيل والنجادات، عبدالسلام. (٢٠١٩). ظاهرة الصراعات الإثنية في الشرق الأوسط: الصراع التركي- الكردي نموذجًا. الأردن. جامعة البواقي. مجلة العلوم الإنسانية. مجلد(٦). عدد(١).

٥-بومنير، كمال. (٢٠١٠). النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسيل هونيث. الجزائر. منشورات الاختلاف.

٦-خيدون، محمد. (٢٠٢٠). الهجرة وإشكالية الهوية في العالم المعاصر. المغرب. مركز جيل البحث العلمي. ع(٦٣)، ٦٧-٧٥.

٧-شعبان، عبدالحسين. (٢٠١٧). الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

٨-عبد الحفيظ، أحمد. (٢٠٠٥). الدولة والجماعات العرقية. القاهرة .مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية.

٩-عبدالباري، أسامة. ( ٢٠١١). الهوية الإثنية والصراع العرقي: دراسة حالة أمازيغ ليبيا. جامعة القاهرة. كلية الآداب. مركز البحوث والدراساسات الاجتماعية. ع: (٧). ١٤١-١٧٦.

١٠-عبدالحي، أحمد تهامي.(٢٠١٧). المتغير الجيلي وصعود الشعبوية

والاحتشاد القومي. مؤسسة الأهرام. مجلة الديمقراطية. مج:(١٧). ع: (٦٦). أبريل. ٧٩-٨٨.

١١-عبدالسلام، إبراهيم بغدادي. (٢٠٠٠). الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.ط٢.

١٢-ماتيوز، بوب وروس، ليزر، (٢٠١٦). الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. ترجمة محمد الجوهري. القاهرة. المركز القومي للترجمة.

١٣-مريم، شوحة وحسينة، زعرور. (٢٠٠٨). الدولة القومية بين إدارة التعددية الإثنية واستراتيجيات التسوية في منطقة القرن الإفريقي :دراسة حالة إثيوبيا. ألمانيا. برلين.المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

١٤-مهدي، محمد عاشور.(٢٠٠٢). التعددية الاثنية إدارة الصراعات وإستراتيجية التسوية. عمان. المركز العلمي للدراسات السياسية.

١٥-هونيث، أكسل.(٢٠١٥). الصراع من أجل الاعتراف، ترجمة وتحقيق جورج كتورة. المكتبة الشرقية.

١٦-هونيث، أكسل. (٢٠١٣). التشيؤ: بحث موجز في النظرية النقدية. ترجمة كمال بومنير. دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

**ثانيًا: المراجع الأجنبية:**

1-Abbas, Fatin. Arab Nationalism, and Nubian Diasporic Identity in Idris Ali's Dongola: A Novel of Nubia. journal of Research in African Literatures. Indiana University Press. Vol (45). No (3).

2-Amin, Samir. (2013). The Nation: An Enlightened or Fog-Shrouded Concept? Trans by Edward Ousselin. Research in African Literatures. Vol (28), NO (4). (20) Nov.

3-Cohen, Erik H. (2004). Components and Symbols of Ethnic Identity: A Case Study in Informal Education and Identity Formation in Diaspora. International Association

for Applied Psychology. Blackwell Publishing. Vol (53) , No (1).

4 -Geiser, Peter. (1973). The Myth of the Dam, American Anthropologist. Vol. (75). No (1).

5-Honneth, Axle. (1995). The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflict. translated by Joel Anderson, The MIT Press. Cambridge. Massachusetts.

6-Isajiw, Wsevolod W. (1992). Definition and Dimensions of Ethnicity: A Theoretical Framework. published in: Challenges of Measuring an Ethnic World: Science. politics and reality: Proceedings of the Joint Canada-United States Conference on the Measurement of Ethnicity April (1-3. 1992). Statistics Canada and U.S. Bureau of the Census. eds. Washington.

7-Janmyr, Maja. (2017). human rights and Nubian mobilization in Egypt: towards recognition of indigeneity. Third World Quarterly. London. Routledge. Vol (38) No (3).

8-Johnston, Hank. (2012). states and social movements. polity press. Cambridge. UK.

9-Karashchuk, Oksana S. and et.al. (2020). The Method for Determining Time-Generation Range, Sage Publication, Vol (1), No (8).

10-Keeling, Sarah. (2003). Advising the Millennial Generation. Nacada Journal. Volume (23) (1 & 2) Spring & Fall.

11-Knight, Yolande. (December 2009). Talking About my Generation: a brief introduction to generational theory. Planet journal. Issue (21), London. Routledge.

12-Landis, Dan and Albert, Rosita D. (2012). Models and Theories of Ethnic Conflict, Handbook of Ethnic Conflict: International Perspectives. New York. Springer.

13-Mannheim, Karl. (١٩٧٢). The Problem of Generations: in Essays on the Sociology of Knowledge. London.

Routledge and Kegan Paul.

14-Sebrechtsa, Melissa and Tonkens, Evelien and Barbara Da Roit. (2019). Unfolding recognition: an empirical-theoretical contribution to the concept. Distinktion: Journal of Social Theory. Volume (20) - Issue (2).

15-Taylor, Charles. (1995). Multiculturalism. Published by Princeton University Press.

16-Williams, Robin M. (1994). The sociology of ethnic conflicts: comparative international perspectives. annual review of sociology. Vol (20).

## دليل المقابلة المتعمقة

## الهوية الإثنية ومشكلة الاعتراف: دراسة على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

## لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

**أولاً : البيانات الأساسية** السن– النوع – العمل– الحالة التعليمية– المستوى الاجتماعي– الحالة الاقتصادية– الحالة الزواجية– الجماعة الإثنية– تاريخ الانتقال الى السويس– ظروف الانتقال

**أولاً: الهوية الاثنية الاغتراب المكاني:** سرد المأساة النوبية –المعنى الذي يكونوه النوبيون عن الاغتراب المكاني – سرد لتجربة الاغتراب المكاني – أسباب الاستمرار في المكان – الموقف من الهجرة خارج الدولة – علاقته بالمهاجرين خارج الدولة – نرصد ارتباطه بالنوبة القديمة وذكرياته فيها– الحنين للنوبة القديمة – الموقف من الحلم بالعودة للنوبة القديمة (لو اتيحت له الفرصة للعودة للنوبة هل سيقبل أم لا – المصاعب الاجتماعية والمعيشية التي واجهها الشخص عند انتقاله من النوبة إلى السويس – المصاعب الخاصة بالهوية والتكيف مع المجتمع الجديد – انكار الخصوصية: المشكلات التي واجهها النوبي عند الانتقال للمدن الكبرى (العادات –التقاليد–الأعراف– والفلكلور – طقوس دورة الحياة –تقييم الشخص لعملية تهجير النوبيين طوال القرن الماضي وتأثره هو بها – لماذا اختاروا السويس بالذات – ليه الكنوز أكثرية في السويس

**التنشئة الاجتماعية:**

حضور الثقافة النوبية في عملية التنشئة – الحرص على تعلم اللغة النوبية – العلاقة بالرفاق والجيرة – الحديث عن الهوية النوبية وتعليم الأبناء أهمية التاريخ والحضارة النوبية – فكرة الحرص على الدعوة لتدريس اللغة النوبية – المدرسة هل في تعارض بين المدرسة والبيت في عملية التنشئة الاجتماعية عبر الأجيال –الهوية الوطنية المصرية وعلاقتها بالهوية النوبية – أيه المعني

اللي بيكونوه عن كل هوية فيهم –الاندماج مع المجتمع المحلي غير النوبي هل بيتم بشكل فردي أم جماعي وأيه علاقة الهوية بالاندماج التفاعل مع الآخرين في العمل

**الأخلاق:** هل هناك حضور للنوبة القديمة في التنشئة الأخلاقية للأبناء – ملامح النوبة الافتراضية في السويس هل هما بيعيشوا في السويس في عالم موازي للنوبة القديمة –الموقف من الأخلاق والقيم في السويس

**بنية وطبيعة العلاقات القرابية:** طبيعة التواصل بين الأقارب اللي في السويس واللي في المجتمع الأصلي

- عمليات المساعدة الاجتماعية : البر والأعمال الخيرية . كيف تُمول وكيف تُوزع

**الانتماء الجمعي للأرض:** الانتماء إلى السويس أو النوبة –معنى الانتماء وخصائصه وهل هو معتز بالبقاء في السويس ولماذا لم يذهب إلى القاهرة والاسكندرية –طبيعة السكن في السويس –خصائص المسكن هل بيعكس خصائص الهوية وأيه فكرته عن السكن في النوبة القديمة – النوبة الجديدة – مقارنة في السكن والخدمات بين النوبة القديمة والجديدة والسويس

**رؤية الآخر:** المعاني التي يخلعها على الأخرين –المشاركة في المجتمع المحلي والسياسي –الاستثمار في السويس

- امتلاك منزل في السويس –رأيه في السويس والإقامة الدائمة فيها

**الفلكلور:**

–لبس الموضة رأيه أيه في أزياء الناس اللي في السويس –الاحتفالات والمناسبات هل الطقوس الاحتفالية القديمة اللي في النوبة مستمرة أم انقطعت –دورة الحياه الميلاد الزواج الوفاه احتفالات الزواج هل لهم احتفالات خاصة –الحكم – الأمثال – النكات

**المكون الديني:** –التدين الشعبي (الحركة السلفية وموقفه منها –موقفه من

الأزهر وخطباء الأوقاف

-المشايخ ورجال الدين التي لها حضور عندهم -انخراطهم في الطرق الصوفية -مظاهر التدين الشكلي (النقاب – الجلباب الأبيض- اللحية ) - الارتباط بجماعة دينية معينة -الموقف من الحركات الدينية بشكل عام ( الاخوان- السلفيين-الصوفيين)

**التماسك والتضامن الاجتماعي:**-النادي النوبي العام -الجمعيات النوبية

**ثانياً: الصراع: الصراع الاجتماعي:**

-النزاعات التي تنشأ بين المواطن النوبي عند قدومه محافظة السويس (السكن والإقامة-العمل- إدارة الحياة اليومية-العلاقة بالآخرين من الجيرة والزملاء – هل الصراعات دي لها معنى إثني -هل فيها محاولة لإثبات الهوية والاعتراف بها -الصراع داخل الجماعة النوبية(داخل الأسرة الواحدة-أو داخل مكون من مكونات الجماعة النوبية – معدلات الطلاق عند النوبيين – الخلافات الأسرية كيفية حلها – هل يوجد تعدد للزوجات – العلاقة بالقانون الرسمي – هل في مجالس عرفية في السويس -الصراع على الانتاج وزيادة رأس المال (بيشارك مين – إيه الصراعات التي تنشأ في هذا المجال وكيفية حلها) -الطبقة الاجتماعية عند النوبيين هل في ترتيبات طبقية عند النوبيين في السويس

**الصراع الإثني:**

-**اللغة** المشكلات التي تواجه الجماعة النوبية من حيث استخدام اللغة داخل الأسرة وداخل المجتمع -معارضة ممارستهم لثقافتهم وطقوسهم -هل من السهل ممارستها في المجتمع الذي يعيشون فيه -هل في مشاكل أو نزاعات تواجه النوبي من أجهزة الدولة أو المجتمع المحلي بسبب الهوية وأيه تفسيره ليها -هل لو حدثت مشكلة لأحد النوبيين هل في تدخل جمعي (الحماية الإثنية)

- **الاعتراف بالهوية:**

-دور النادي النوبي العام في تأكيد الهوية والاعتراف بها -هل توجد وحدات

فرعية لتمثيل النوبيين

-ما الجماعات التي تخاطب النوبيين من أجل الحصول على الدعم منها - استعمال اللغة النوبية في الحياة اليومية وفي العلاقات الاجتماعية

**تعليم الثقافة واللغة النوبية داخل الأسرة**

- هل هناك أحزاب سياسية في السويس تتواصل مع النوبيين وتطلب دعمهم والانتماء لهم -هل في جمعيات خيرية نوبية وبتساعد مين- وهل بتساعد النوبيين فقط وليه -هل هناك محاولات لتعريف الأخرين بالثقافة النوبية وتاريخ النوبة القديمة -اللجوء للتواصل الجمعي مع الأخرين هل بيتم التواصل مع الأخرين من خلال الجماعة -الفرد -هل بيتم السماح بالزواج خارج الجماعة الفرعية - النسب والمصاهرة - وهل يسمح للبنت مثل الولد في اتخاذ قرارات حياتية -هل يتم إقامة شبكة من العلاقات الاجتماعية مع الجيرة ومع غير النوبيين -أيه المشكلات التي تنشأ نتيجة الانتماء للهوية النوبية - هل حتسكت - رد فعلك (التحرش الإثني)

## دليل الملاحظة

## الهوية الإثنية ومشكلة الاعتراف: دراسة على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

**ملاحظة ومتابعة دقيقة لـــــ** –المستوى الاجتماعي هل في تقارب بينهم –هل في تضامن بينهم في المناسبات والمواقف والأزمات

–طبيعة العلاقات الاجتماعية وصور التفاعل الاجتماعي داخل الروابط التنظيمية لنوبيي السويس.

– صور التضامن الاجتماعي في المناسبات الاجتماعية التي يقيمها نوبيي السويس سواء قدوم مولود أو الزواج.

– صور الاندماج الاجتماعي في المجتمع المحلي – طريقة الاهتمام باللغة النوبية في الحياة اليومية لنوبيي السويس.

– عبارات ومعني التذمر والاحتجاج والمواقف الغاضبة من الآخرين –المخاوف التي تتعرض لها اللغة الماتوكية الخاصة بجماعة الكنوز في السويس –التمسك بالأغاني النوبية في مناسباتهم – الاجتماع الأسبوعي لحضرة الطريقة الميرغنية الختمية في السويس (المترددين على الحضرة وخصائصهم). – الارتباط والتواصل مع النوبة الجديدة في أسوان –دور الروابط التنظيمية لنوبيي السويس في إعادة انتاج الهوية النوبية.